الديوان الأميرى
مكتب الشهيد
الغرسة الثانية والثمانون يوليو - أغسطس 2015

الهوية
ALHAWIYA

ملحمة التراحم

2 أغسطس .. يومٌ وطنيّ حيّ

دموع القائد الإنساني

ISSN: 1728 - 5135

الهوية

مجلة دورية تُعنى بتأصيل الهوية الوطنية مرتكزة على قضية الشهادة والشهداء بوصفها لُبَّ الانتماء ومادة الهوية

الغرسة 82

يوليو - أغسطس 2015

تصدر عن الديوان الأميري - مكتب الشهيد
دولة الكويت

رئيسة التحرير
فاطمة أحمد الأمير

مديرة التحرير
فائزة مانع المانع

سكرتير التحرير
عماد منصور المنصور

المراسلات باسم رئيس التحرير
مكتب الشهيد - الديوان الأميري
ضاحية مبارك العبدالله - قطعة ٧ - شارع ٥
ص.ب: ٢٨٧١٧ الصفاة ١٣١٥٨ دولة الكويت
بدالة: ١٨٨٨١٠١ - داخلي : ٣٠٨٤
مباشر : ٢٥٣٧٢٠٨٤
فاكس: ٢٥٣٧٥٤٨٩

إخراج وتنفيذ وطباعة

النظائر
AL-NAZAER

بصمتنا 4

السور السرابع 12

من شهداء الإسلام 20

من شهداء العروبة 56

من رموز الحرية 60

عيان هذولا 6

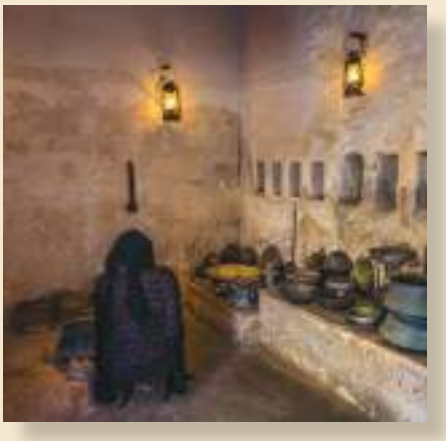

تراث 33

رؤية 16

سينما 48

شخصيات 28

انسانيات 64

سُـلطة الذاكـرة

بقلم : فايزة مانع المانع
fayzaalmane@yahoo.com

منذ ربع قرن، وبالتحديد في ليل الحادي عشر من أغسطس العام 1990، ارتفع في سماء الوطن دويّ «الله أكبر» وضجت أسطح المنازل بالنداء الرباني، فالوطن برمته يرسف في أغلال احتلال غاشم، والمواطنون ينامون ويستيقظون على كمدٍ مقيم، يرقبون الأمل وينتظرون فرج الله، صورة لا أظنها تغادر ذاكرة أي كويتي ممن عاصر فترة العدوان العراقي في الثاني من أغسطس العام 1990، وذاق مرارة الاجتياح وضراوة القهر وسقوط مؤسسات الدولة، وكما أن بعض الأصوات لها صدى يأبى إلا أن يتردد بالرغم من مرور الزمن، أيضا لبعض الأحداث ذاكرة ترفض أن تبهت وكأنها وقّعت مع التاريخ عهداً وميثاقاً، كدلالةٍ على إصابة لم تقتل، وطعنة لم تنفذ، ووطن كطائر الفينيق ينبثق من تحت الرماد؛ يغتسل بماء الحياة ويتجدد .

هكذا هو ذلك التاريخ القديم المتجدد؛ لافتة للتحدي وعنوانا للشموخ ودرسا بليغا في التصدي والصمود.

إن العودة المتكررة لتلك الأحداث حاجة بل ضرورة، فالأحداث الكبرى شئنا أم أبينا تشتبك بالذاكرة اشتباكاً صمغياً، وتتحول بمضي الزمن إضافة للهوية الوطنية، تزيدها وتغنيها وتمنحها المزيد من الحضور والزخم والصلابة والعمق، فارتباط الهوية بالذاكرة ارتباط عضوي يصعب فصمه، فالهوية وإن كانت صيرورة متغيرة بسبب مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية إلا أن الذاكرة تشكل بالنسبةِ لها سياج الحماية الذي يمنحها ما تحتاج إليه من فرادة وما يميزها كخصوصية.

إن مطالبات العراق بدولة الكويت لم تكن وليدة الصدفة أو حالة طارئة، فالتاريخ يخبرنا أنها استمرت وتكررت منذ ثلاثينيات القرن الماضي وبالتحديد العام 1933، وتكررت سنة الاستقلال العام 1961، ثم العام 1973 بحادثة

الصامتة، ثم الصاعقة الكبرى العام 1990، ولم يتم ترسيم حدود دولتنا الحبيبة مع جارها الشمالي إلا العام 1993 من خلال الأمم المتحدة .

إن تقليب صفحات ذلك الحدث المفصلي الذي هزّ كيان وطننا الغالي، يضعنا أمام سطور مشعة بالبياض، مترعة بالتضحيات، مليئة بالبطولة، مشبعة بالمقاومة، وتفيض بالحماس.

إن رجالا أفذاذاً، قادوا تلك المرحلة بكل تفانٍ واقتدار، واستطاعوا أن يجتازوا بالوطن محنته الكبرى، وقدموا تضحيات جساماً ربطت تاريخهم بولادة الوطن الثانية واستعادة الأرض من براثن قوة غاشمة، وعلى رأسهم المغفور له الشيخ جابر الأحمد الصباح والشيخ سعد العبدالله الصباح، وأميرنا الحالي أمدّ الله في عمره الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح .

إن قصة الاحتلال والتحرير محَّصت شعبنا وأخرجت أجمل ما فيه، حيث انبرى شباب الوطن وشاباته ليديروا شؤون مجتمعهم، وبرزت لجان المقاومة وتحمل الشباب مسؤولياته، وخرج أبناء الوطن ينظفون الشوارع ويخبزون الخبز، ويديرون الجمعيات التعاونية، ويقاومون آلة الغدر الجبارة بكل ما أوتوا من قوة، تأكيدا لإرادة لا تُذل وكرامة تأبى الامتهان .

إن شهداءنا الأبرار يقفون على شرفات تاريخ الثاني من أغسطس لا يبرحون المكان، يتطلعون على الدوام نحو الوطن، ذلك الوطن الذي آمن بالتحدي وتجاوز الجراح، إنهم يتأملون وطنهم وهم على يقين أن تضحياتهم لن تذهب سدى، وأن دماءهم الزكية بالفعل هي التي صنعت النصر .

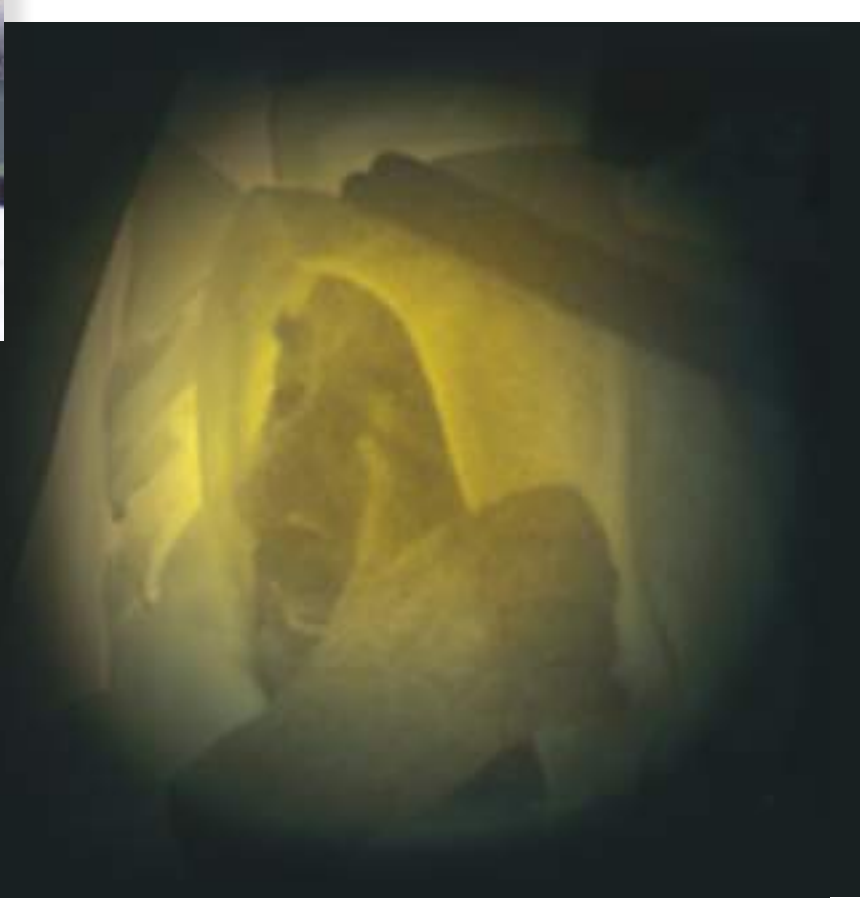

دموع القائد الإنساني

«إنما فضلهم بشيءٍ كان في قلبه»

لم يكن السادس والعشرون من يونيو الماضي يوماً عادياً في حياة الكويت والكويتيين، فالكويتيون لم يعتادوا أن تفيض الدماء والدموع من رحاب المساجد من بين صفوف المصلين، ولم تكن مساجد الكويت يوماً ما مكاناً أو مصدراً لعنفٍ أو إرهاب على مدى تاريخ الوطن، وكانت المساجد على الدوام لله وللرّكع السجود، ومكاناً للأمن والأمان، وملاذاً للخائفين وللباحثين عن الاطمئنان النفسي والروحي، ومع سبحات الخشوع يجدون

سمو ولي العهد الشيخ نواف الأحمد في طريقة لتفقد المصابين

وزير الداخلية الشيخ محمد الخالد في موقع الكارثة

ما يحتاجون إليه وتهفو إليه أرواحهم، وهذا ديدن هذا الشعب المتدين بفطرته، فما بالك في شهر رمضان الفضيل وفي يوم الجمعة المباركة حيث تتضاعف العبادة، ويكثر مرتادو المساجد ليستشعروا في رحاب المكان الطاهر سمو الأرواح وهي ترنو لرحمة خالقها وتستمطر عفوه ورضاه، لحظات فائقة المرارة، حالكة السواد تلك التي تفاجئك وأنت تتقرب لربك وباسم ربك وفي بيت ربك لتتفرق جموع المصلين ما بين قتيل وجريح وهارب

ومفجوع، ويتحول المكان المقدس إلى بركة دم ودموع ونحيب وعويل في مشهد رعب مباغت وغير مبرر وبإجرم همجي وبلا هدف لأناس لا ذنب لهم كانوا سجداً في خشوع أمام خالقهم .

مرض غريب وحشي ذلك الذي يدفع فرداً ما أو جهةٍ ما مهما تكن لتستهدف مدنيين أبرياء، يفنيهم ويفني نفسه معهم وينتهك حرمة الدم المسلم والشهر المبارك ويزهق الأرواح غيلةً وغدراً .

إن الإرهاب محنة هذا العصر، ذلك الجنون الذي

الإنسانية والهمجية، وجهاً لوجه

استلب عقول البعض وأهدر طاقات الشباب وأدخلهم في متاهات التكفير والكره والرفض، ولوث تفكيرهم السويّ بالأوهام والخرافات والأباطيل وقادهم بخطوات جاهلة ومغالطات فاضحة إلى تدمير أنفسهم وإنهاك مجتمعاتهم .

إن ما حصل في مسجد الإمام الصادق في منطقة الصوابر رمضان الماضي فجيعة إنسانية كاملة وجريمة فائقة الوحشية أصابت المجتمع الكويتي في صميم هويته الخيرة

المتسامحة والمتعايشة، والتي تثبت حوادث التاريخ الوطني على الدوام قدرتها على التجاوز والتماسك لإيمانها المطلق أن بقاءها واستمرارها في الالتفاف حول هذه الهوية الوطنية والتمسك بها والوقوف في وجه من يريد تمزيقها أو تفريغها من محتواها، إن فاجعة مسجد الإمام الصادق جاءت لتكون اختباراً جديداً لهذه الهوية وإنعاشاً لمضمونها وتأصيلاً متجدداً لعمقها وزخمها وقوتها . وها هم الكويتيون يثبتون كما أثبتوا دائماً أنهم أمام الشدائد كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً، وما تعاطف الشعب بكل فئاته وطوائفه مع شهداء ومصابي حادثة تفجير مسجد الإمام الصادق وفتح مسجد الدولة الكبير لتقبل العزاء بالشهداء كأنه عزاء الدولة برمتها، وطوابير المتبرعين بالدم الذي فاق كل التصورات، إلا دليل على أن هوية هذا الشعب صلبة غير قابلة للاختراق .

أما ما جعل هذه الحادثة بكل ما فيها من بشاعة ودم ودمع وأنين وانكسار ومباغتة تصب في مجرى نهر الوحدة الوطنية الذي ما جف يوما ؛ وصول قائد سفينة هذا الوطن قبل غيره إلى قلب الحدث وبدمع وأنين يؤكد أبوة هذه القيادة المخلصة التي تستشعر فجائع الشعب ومصائبه وكأنها فجيعته

الشخصية، وكأن الانفجار في قلب داره، إن أمير البلاد المفدى الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه بهذه المبادرة السريعة والجريئة ذات الدلالة على عمق الرابطة بين هذا القائد الإنسان وشعبه تؤكد على الدوام روح الأسرة الواحدة التي ينعم بها هذا المجتمع وتشير بكل ثقة إلى روح الأبوة التي تميز القيادة التي تدير دفة هذا المجتمع عبر التاريخ، والأدلة على ذلك أكثر من أن تُعد أو تُحصى، إنه القائد الإنساني بامتياز، صباح الأحمد الجابر الصباح، فهو لم يُمنح هذا اللقب من فراغ فبالإضافة إلى كل تاريخه المحمل بأفعال الخير وهبات العطاء وتلمس جراح ومصائب الآخرين يؤكد على الدوام ومن جديد كيف تكون الإنسانية الحقة فمن قلب الكارثة وفي مواجهة آثار الغدر بين الأشلاء والضحايا، تتساقط دموعه وترتجف يداه وتتعثر خطواته في بحر جموع المواطنين المتلاطم ويتهدج صوته وهو يقول (هذولا عيالي) مختزلا بهاتين الكلمتين حقيقة ما في قلبه الكبير من إنسانية عالية تؤشر من جديد أحقيته بالفعل بلقب قائد العمل الإنساني، ولينطبق عليه ما جاء في الأثر « إنما فَضَلهم بشيءٍ كان في قلبه» .

متابعة فايزة المانع

فاطمة أحمد الأمير
الوكيل المساعد في الديوان الأميري
مدير عام مكتب الشهيد

مكتب الشهيد مظلة الخالدين ..

ستة وعشرون شهيداً ليسوا كالشهداء ... فهم لم يقضوا في مواقع الحروب، ولم يتفجروا بسيارات مفخخة في شارع ما، ولم تسل دماؤهم في صراعات عبثية، أو منازعات وهمية، إنهم مختلفون تماما، لقد قضوا وهم «سجود» في أقرب موقع يكون الإنسان فيه من خالقه، «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»، تلك هي ميتتهم وهذا هو استشهادهم، وأين؟.. في بيت من بيوت الله التي ﴿أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾، ومتى؟.. في شهر الصيام الفضيل وفي يوم الجمعة المباركة، هكذا هو استشهادهم وهكذا التقوا بخالقهم، بالفعل إنهم شهداء مختلفون، رحلوا غيلةً وغدراً في فعل لا يُقدِم عليه - وهم على الحال التي كانوا عليها - إلا أراذل البشر، وأقلهم وعياً وأكثرهم وحشية، لذا فهؤلاء الشهداء نخبة - نحسبها والله حسيبها - من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، شهداء عند ربهم يرزقون، فرحين بما أتاهم، نورهم يسعى بين أيديهم، فازوا بالجزاء الأوفى في الدارين حيث خلود الدنيا بالسمعة الطيبة والذكر الحسن والرعاية الكاملة وخلود النعيم عند رب كريم في جنات عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين ممن أحسن الله خاتمتهم واختارهم مكرمين منعمين، آمنين مطمئنين .

إن هذه الكوكبة من الشهداء قدمت لنا من دون إرادة منها عبراً لا تنتهي ودروساً ثمينةً لا تزال تتناسل شروحها ونتائجها بلا توقف،

إن نافورة الدم والدمع التي انفجرت في رحاب مسجد الإمام الصادق في تلك الجمعة الحزينة كانت الماء الذي صبّ في شجرة وحدة الوطن فاينعت وازداد اخضرارها وتماسكت جذورها فازداد تلاحمها، وهكذا تحول الأنين إلى عزف شجيّ للحن الكويت التي برهنت ولا تزال تبرهن للقاصي والداني أن المحن لا تزيد شعبها إلا قوة ولا تمنحه سوى المزيد من الصلابة .

إن مكتب الشهيد اليوم وهو ينفذ قرار مجلس الوزراء الذي صدر في التاسع والعشرين من يونيو الماضي تحقيقا لرؤية سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه بتكريم وتخليد الشهداء ليفخر بأن يؤدي دوره بانضمام شهداء مسجد الإمام الصادق إلى سجلات شهداء الوطن ليحظوا بالرعاية والعناية الكاملة التي يقدمها مكتب الشهيد للشهيد وذويه، فيُضاف الشهداء إلى قوائم الخلود، وتُدون حيواتهم جمعاً وتوثيقاً في كتب حيثيات الاستشهاد التي يصدرها المكتب، بالإضافة إلى بناء صرح تذكاري بأسماء الشهداء عند مدخل مسجد الإمام الصادق وكذلك مشروع قرية خيرية في أندونيسيا، هذا غير الرعاية التربوية والصحية والنفسية والاجتماعية والإسكانية وجميع الأنشطة الأخرى التي يقدمها المكتب غالباً ضمن رسالته لذوي الشهداء من أبناء وزوجة أو آباء وأمهات أو أخوة وأخوات.

إن مكتب الشهيد وهو ينهض بمسؤولياته ليستشعر حجم التضحيات الجليلة التي يقدمها أبناء الكويت ممن قضوا وهم يخدمون الوطن في أيّ موقع وفي أيّ مكان، وما القفزة الهائلة للوطن برمته فوق جرحه النازف في رحاب مسجد الإمام الصادق إلا دليل ساطع على عمق الانتماء وصدق الولاء لهذه الأرض الطيبة المباركة، التي

لم تبخل يوماً على مواطنيها والتي تستحق على الدوام أن نسيجها بالروح والقلب والنفس والنفيس .

إن كلمة أميرنا المفدى الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح التي أشار فيها إلى ملحمة التراحم المذهلة التي أعقبت حادثة الانفجار الآثم في رمضان الماضي لهي خير مثال لحجم التكافل والتعاضد التي ينعم بهما مجتمعنا ويحتمي بهما في مواجهة مظنات الفتن ما ظهر منها وما بطن، فكان مما قال : « لقد سطرتم أبهى صور الولاء والوفاء لوطنكم بما تحليتم به من روح وطنية عالية وما أبرزتموه من حرص على تعزيز الوحدة الوطنية وما ابديتموه من مظاهر التعاطف والتراحم إزاء حادث التفجير الإرهابي الآثم في مسجد الإمام الصادق الذي أسفر عن استشهاد العشرات وإصابة المئات، وأثبتم بجلاء صلابة المجتمع الكويتي ووحدته في مواجهة العنف والفكر التكفيري المتطرف وتكاتفه في السراء والضراء ولقد أفشلوا عبر هذه المواقف الوطنية السامية ما كان يرمي إليه مدبرو ومنفذو هذه الجريمة النكراء من محاولات يائسة وسلوك شيطاني مشين لإشعال الفتنة وإثارة النعرات وشق وحدة المجتمع الكويتي فرُدوا على أعقابهم خاسئين مدحورين لتنتصر الكويت وتبقى وحدتها وتماسك أبنائها عصية على كل من يحاول النيل منها سائلين المولى تعالى أن يتغمد شهداء هذا الحادث المؤلم بواسع رحمته ويسكنهم فسيح جناته وأن يمن على المصابين بسرعة الشفاء والعافية» إن هذه الكلمات المعبرة الحنونة هي البلسم الشافي لكل جروح الوطن والترياق الذي يصونها في مواجهة الفتن .

الشهيد يونس مال الله

سلاحه في سيارته وتحركاته في طي الكتمان

نوع من الرجال، يأبي الضيم، وينفر من الظلم وبأنف الذل، تربى على الشجاعة والإباء فلم يستسغ طعم الاستعباد. ولم يستسلم للعدوان، وهو المولود في وطن مستقل وفي مجتمع ألف الديموقراطية والحرية، لذا تحرك بكل ثقة وهدوء تجاه إزالة هذا الاحتلال، حتى نال شرف الشهادة مطمئناً بأن الوطن المقاوم لابد أن ينتصر.

اتصف الشهيد بصفات حميدة عدة حيث كان متدينا وصولا لرحمه، بارا بوالديه قريباً منهما ملبياً لحاجتهما، حنونا، كتوما، وفياً لأهله ووطنه، شجاعاً، محبوباً ومحترماً من زملائه وأصدقائه، خدوما للجميع، لا يشتكي منه أحد أو يذكره بسوء، ولذا كان لنبأ استشهاده أثر قوي أورث حزناً عميقاً في قلوب محبيه.

وقد كانت للشهيد قدرات متميزة في أكثر من حرفة، فقد كانت له معرفة بالأجهزة الكهربائية والميكانيكية وتصليح الأدوات الصحية بالإضافة إلى قدرته في الحسابات.

الشهيد والمقاومة

كان الشهيد يونس قد أنهى الخدمة العسكرية في 1990/7/4م ثم تزوج قبل أيام قليلة من الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت.

كان للغزو وقع شديد على الشهيد يونس فلم تشغله حياته الزوجية الجديدة عن واجبه تجاه وطنه وعن الجهاد بما يستطيع عمله من أجل تخليصه من أيدي الغزاة.

وقد شملت مظاهر مقاومته للغزو العراقي الجانب المدني والجانب العسكري في حياته وذلك منذ اليوم الأول من الغزو وحتى يوم اعتقاله في 1990/9/3م.

الدور المدني

كانت للشهيد أنشطة مدنية عدة في مواجهة المعتدين شملت:

أ - توصيل المساعدات الإنسانية كالغذاء والمعونات المالية إلى الأسر الكويتية.

ب - طباعة النشرات التي تندد بالغزو وتحث الشعب الكويتي على الصمود ومقاومة العراقيين وتوزيعها على الأهالي وذلك عن طريق آلة تصوير أخذها من شركة والده، وله مساهمة جادة في توزيع نشرة «الصمود» التي تصدرها إحدى جهات المقاومة الكويتية وكان مقتنعاً بأنها سيكون لها أثر كبير في صمود أهل الكويت وشد أزرهم.

جـ - المساهمة في إخراج بعض الأسر الكويتية وأصحاب الظروف الحرجة كالعسكريين

والمرضى إلى خارج البلاد عن طريق إصدار إثباتات رسمية مزورة وهويات ودفاتر سيارات وهمية.

د - جمع أكياس القمامة من أمام المنازل وهو دور له أهميته الكبرى حيث إن عدم جمعها والتخلص منها يؤدي إلى تكدسها وانتشار الأمراض والأوبئة.

هـ - المشاركة في بعض المظاهرات السلمية التي تؤكد للمحتل رفض الشعب الكويتي لهذا الغزو الهمجي.

و- العمل في الجمعية التعاونية التي كانت توفر لأهالي المنطقة الحاجات الضرورية ومستلزمات الحياة مما يساعد على ثباتهم وصمودهم في أرض الوطن.

الدور العسكري

إن المقاومة المدنية التي شارك فيها الشهيد برغم تعدد أنشطتها وأهميتها إلا أنها لا تمثل الجانب الرئيسي له فالمقاومة العسكرية كانت هي الدور الأكثر بروزاً في مقاومة المعتدين.

ولاشك أن الخبرة العسكرية التي اكتسبها أهلته لأن تكون له مساهمة فعالة في هذا الجانب، فالشهيد ومنذ اليوم الأول من الغزو قرر أن يواجه المعتدين، فعندما رأى طائرات المعتدين «الهليكوبتر» تجوب سماء الوطن انتابه

اتصف الشهيد بصفات حميدة عدة حيث كان متدينا وصولا لرحمه، بارا بوالديه، حنونا، كتوما وفيا لأهله ووطنه

شملت مظاهر مقاومته للغزو العراقي الجانب المدني والجانب العسكري في حياته وذلك منذ اليوم الأول من الغزو وحتى يوم اعتقاله في 1990/9/3م

الغضب والحرقة على وطنه فقفز من مكانه قائلاً: سألتحق باللواء متوجهاً إلى المعسكر رغم طلب البعض منه التريث لكنه لم يتمكن من الوصول إليه حيث إن القوات العراقية حاصرت جميع المعسكرات الكويتية ومنعت كل من يحاول الدخول إليها، فرجع إلى منزله وكله حسرة لكنه استطاع أن يحصل على قطعة سلاح ليستخدمها في مواجهة المعتدي في الوقت المناسب.

وفي اليوم الثاني من الغزو انضم إلى المقاومة المسلحة في منطقة كيفان ضد القوات المحتلة ثم انسحب في 1990/8/4 م إلى منزله الكائن في منطقة الرميثية ليبدأ بمساهمات أخرى في مواجهة القوات العراقية فانضم إلى إحدى خلايا المقاومة مع الملازم أحمد الدوسري والملازم صالح أبل والتي كان لها ارتباط مع مجموعة المقاومة المسماة بـ «25 فبراير» فمن النشاطات المسلحة التي قام بها حرصه على اقتناء الأسلحة فقد ذهب مع أخيه يوسف وآخرين إلى مبنى الدفاع المدني الكائن على الدائري السادس واستطاعوا الحصول على بعض الأسلحة الخفيفة والرشاشات وقاموا بتوزيعها على أفراد المقاومة في منطقة الرميثية.

بالإضافة إلى الأسلحة التي يحصلون عليها من الجنود العراقيين الذين يتم تصفيتهم، كما قام الشهيد مع أخيه يوسف بإخفاء كمية من الأسلحة في حديقة منزلهم.

وشارك الشهيد في عمليات مقاومة عدة في شارع عمان في منطقة السالمية، حيث يتواجد فيه عدد من العسكريين العراقيين، وكذلك في الهجوم على مخفر منطقة صباح السالم بالاتفاق مع عدد من خلايا المقاومة للسيطرة عليه وتخليص السجناء والمحجوزين من الكويتيين والكويتيات في هذا المخفر.

واستغرق هذا الهجوم نصف ساعة تقريباً استطاعوا خلالها إحباط محاولة إسناد عراقية لهذا المخفر ولكن نفاد الذخيرة اضطر أفراد المقاومة للانسحاب دون أن يصاب أحد منهم بأذى.

كان الشهيد يحرص على وضع السلاح في سيارته ليستخدمه ضد المعتدين متى ما وجد الفرصة سانحة ووجدت آثار لطلقات نارية على سيارته كما حرص الشهيد على كتمان تحركاته عن أقرب الناس إليه.

وجعل الشهيد من منزل عائلته مركزاً للاجتماعات

والتخطيط للعمليات العسكرية وتصوير المنشورات حتى خشي أهله لكثرة هذه الاجتماعات أن يلحقهم أذى من العراقيين فطلبوا منه أن ينتقل إلى مكان آخر.

ومع اهتمام الشهيد بالاجتماعات لأهميتها وضرورتها للتنظيم والتخطيط كان يقول «يجب تقليل الاجتماعات وتكثير الأعمال».

لاشك أن الجهد الذي بذله الشهيد يونس مال الله كان مؤثراً في مقاومة الغادرين بشقيه المدني والعسكري.

فهذه الأنشطة التي تركزت في شهر واحد وتحديداً من يوم الغزو الغاشم، وحتى يوم اعتقاله في 1990/9/3م، تؤكد وفاء الشهيد للوطن وبذله أقصى ما يمكن ودفاعه المستميت لتخليص الوطن من أيدي الغزاة، وبسبب هذه الأنشطة المكثفة كان أقاربه يخشون عليه من العراقيين فكثيراً ما كان يستدعيه خال والده وعمه ويلحون عليه بالتوقف عن تلك الأنشطة لكثرة عدد المعتدين ولأنه ليس من السهل مقاومتهم ومواجهتهم لكنه ولحبه الشديد لوطنه وحرصه على طرد المعتدي من بلاده لم تكن تلك التحذيرات تجد أذنا مصغية وبخاصة وأنه لم يكن يأبه بالموت بل كان يتمنى الشهادة، لقد كانت لديه فرصة ذهبية لينجو من وطأة الغاصبين ويغادر وطنه إلى مكان آمن عندما أحضر له بعض أصدقائه تصريحاً رسمياً من السفارة البحرينية يثبت بأنه بحريني الجنسية وبإمكانه أن يغادر دون أي عوائق لكنه رفض ذلك العرض وأصر على البقاء في الكويت لمقاومة المعتدين، لاشك أن الشهيد كان يعرف النتائج الخطرة لهذه المقاومة فالإعدام كان عقوبة من يحمل المنشورات التي تندد باحتلالهم فكيف بمن يحمل السلاح ويحاربهم.

كان الشهيد يحرص على وضع السلاح في سيارته ليستخدمه ضد المعتدين متى ما وجد الفرصة سانحة

اقتاد العراقيون يونس وشقيقه يوسف معهم وزعموا لذويهم بأنهم سيقومون بالتحقيق معهما ثم يعيدونهما بعد ساعة

ظروف الاعتقال

كان الشهيد يونس مختبئاً في منطقة صباح السالم لإدارة أنشطته ضد القوات العراقية لكنه في 1990/9/3 م عادل إلى منزله.

وفي وقت الظهيرة داهمت مجموعة من الجيش الجمهوري المنزل وسألوا عن يونس بالاسم مما يدل على أنه كان مطلوباً وأخرجوا النساء والأطفال من المنزل وأخذوا يونس وشقيقه يوسف معهما، وعند التفتيش عثروا على سلاح ومنشورات وآلة تصوير وصور لسمو أمير البلاد ورموز لشفرات ومذكرات تدريب على السلاح، وكان مع العراقيين شاب كويتي بدت عليه آثار التعذيب ربما كان هو الذي دلهم على منزل يونس وشقيقه فقد كان من ضمن مجموعة المقاومة التي ينتمي إليها يونس وقد اعتقله العراقيون وعذبوه فربما قام تحت التعذيب الشديد بالاعتراف على يونس وشقيقه وآخرين.

اقتاد العراقيون يونس وشقيقه يوسف معهم وقالوا لذويهم بأنهم سيقومون بالتحقيق معهما ثم يعيدونهما بعد ساعة ولكن لاحظ الأهل من الطريقة العنيفة عند اعتقالهما وإحاطة الجنود بهما أن الأمر ليس كذلك، وأصرت والدتهما أن تذهب مع ابنيها بالرغم من إهانة العراقيين لها لكنها بعد إلحاح شديد من ابنها يوسف الذي بين أن ذهابها معهما سيضرهما ولن يفيدهما شيئاً، وافقت على الرجوع مكرهة ثم أبلغت الأسرة بمرارة أن ولديها لن يعودا.

اعتقل الشقيقان في مدرسة أم سليم الأنصارية في منطقة سلوى وفي آخر النهار من يوم الاعتقال اتصل يوسف شقيق يونس بنسيبهما جمال الشطي وطمأنه عن حالهما ولكن كانت المكالمة قصيرة جداً فلم يتمكن من أخذ أي تفاصيل عنه وعن شقيقه.

كانت هناك محاولات عدة لإطلاق سراح يونس ويوسف فقد قامت منى ملك زوجة يوسف بالذهاب في اليوم الثاني من الاعتقال مع والدتهما وجدتهما إلى مقر الاعتقال وعند الباب دخلت الأم والجدة باعتبار أعمارهما بينما ظلت منى ملك في الخارج تنتظرهما فقد ترق قلوب العراقيين عند رؤيتهما ويطلقون سراح الأخوين. سمح الضابط العراقي للأم والجدة بمقابلة يونس ويوسف مدة نصف ساعة تقريباً لكنه كان لقاء حزيناً فقد لاحظت الأم أن ابنيها يعانيان بسبب

التعذيب الذي لحق بهما.

وبعد المقابلة رجعت منى والجدة والأم إلى المنزل وانتاب الأم حزن شديد وأخذت تبكي بكاء حاراً وخيم الحزن على الأسرة ثم ذهبت منى ملك في اليوم الثالث إلى المعتقل وطلبت مقابلتهما لكن الضابط العراقي أخبرها أنه نقلهما إلى جهة أخرى فسألته عن هذه الجهة فرفض إبلاغها بذلك مبرراً إن إخباره لها سيؤدي إلى إعدامه كما أنه يضر بالمعتقلين ثم أخذ ذوو يونس ويوسف بالبحث عنهما في أماكن عدة مثل مخفر الرميثية ومخفر سلوى وسجن الأحداث وقصر نايف بالإضافة إلى ذهاب منى ملك اليومي لمكان اعتقالهما الرئيسي لكن دون جدوى، وفي إحدى المرات سألها الضابط العراقي المسؤول في مدرسة أم سليم هل زوجها «الأصلع» أو ذو الشعر مما يفهم بأنه لديه معلومات عنهما فطلبت منه أن يساعدها فوافق بشرط أن تقدم له أموالاً وأدوات كهربائية فأحضرت له ما طلبه لكنها لم تصل معه إلى نتيجة إيجابية، وقام أيضاً نسيبهما جمال الشطي بمحاولات مختلفة من جهته عن طريق أحد الفلسطينيين الذي أوصله

اتصل رجل يتكلم بلهجة كويتية بأسرة يونس في يوم 1990/10/6 وأخبرهم بأنه في الغد سيكون لكم زيارة لولديكما فاستعدوا ففرحت الأسرة بهذا الخبر

إلى أحد أفراد المخابرات العراقية ولكن هذا المخبر بعد التحري أخبر جمال أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً لأن ملفيهما قد رفعا إلى حسن المجيد بسبب آلات التصوير والأسلحة وتهم أخرى.

وبعد فترة وصلت أخبار إلى أسرة الشهيد يونس بأنه وشقيقه معتقلان في مطافئ الجهراء وذلك عن طريق شاب كويتي كان معتقلاً في هذا المكان وأفرج عنه، كما أفاد أيضاً بأنه تم عزل يوسف عن شقيقه يونس وأنه صدر حكم بالإعدام ضد يونس وتم نقل أخيه يوسف إلى أحد سجون بغداد.

ظروف الاستشهاد

اتصل رجل يتكلم بلهجة كويتية بأسرة يونس في يوم 1990/10/6 وأخبرهم بأنه في الغد سيكون لكم زيارة لولديكما فاستعدوا ففرحت الأسرة بهذا الخبر ولكن هذا الخبر لم يكن سوى سخرية واستهزاء بهذه الأسرة المكلومة بفقد ولديها، وزيادة في آلامها وذلك لأنه في الغد الموافق 1990/10/7م بينما كانت أسرة يوسف تتوقع زيارة ولديها إذ بيونس يحضره العراقيون في فجر هذا اليوم في الساعة الخامسة صباحاً ويتم إعدامه برصاصة في رأسه عند باب المنزل ليسقط جثة هامدة وتسمع الأسرة صوت إطلاق النار كما تسمع طرقاً شديداً على الباب وتخرج منى ملك لترى جثته على الأرض وتخرج زوجة يونس ووالدته وتتعرفان عليه ويرتفع بكاء النسوة عليه.

واتصلت أسرته بالهلال الأحمر الذي اعتذر عن نقل الجثة قبل استخراج تصريح من المخفر فذهب بعض معارفه إلى المخفر حيث أخذ العراقيون يحققون معهم بأسئلة مختلفة مثل هل له أعداء وهل رأوا القاتل، وهل أخبركم بشيء قبل وفاته وغيرها من الأسئلة وكأنهم لا يعلمون شيئاً مع أنهم هم الذين قتلوه، ثم أعطوهم التصريح وتم نقل يونس إلى مستشفى مبارك حيث صدرت صورة شهادة بوفاته وحيث تم غسله، ودفنه.

رحم الله الشهيد يونس محمد مال الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته

من كتاب حيثيات الاستشهاد الجزء الرابع د. أحمد الحسن، د سعود العصفور

بعيدا عن الكارثة وقريبا من دروسها في

العمل ومعناه

منصور مبارك

من بين الدروس الكثيرة التي طرحها البطن الخصب لكارثة الغزو العراقي العام 1990 اكتساب قيمة العمل ومعناه لدى الكويتيين بعدا مغايرا وهم يخوضون في مياه أدق مرحلة خبروها في تاريخهم. فمثلما هو معروف، تمثلت إحدى النتائج الفورية للاحتلال بغياب مؤسسات الدولة الشرعية، ومن ثم وجود فراغ تنظيمي في المجتمع. غير أن تلك الحالة لم تدم طويلا، فسرعان ما جرى ملء ذلك الفراغ بوساطة التنظيمات المجتمعية الأهلية كالجمعيات التعاونية والديوانيات والمساجد وبعض اللجان التطوعية. حيث تولت هذه التنظيمات عبء القيام بكل المهام، ونشطت على مستوى المناطق والأحياء وتمكنت بنجاح باهر من إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والصحية مدعومة في ذلك بروح وطنية متوهجة وتماسك قل نظيره بين الأفراد.

إن انخراط الكويتيين جميعا في عصيان مدني ورفضهم لأي شكل من أشكال التعامل مع المحتل، فضلا عن توقف حركة المصارف وانخفاض قيمة العملة الكويتية بسبب مساواة المحتل لها بالعملة العراقية المتهاوية القيمة، كل ذلك جعل الكويتيين وبخاصة الشباب منهم يسعون إلى إيجاد مصادر للرزق عبر الأعمال الحرة واليدوية. مما شكل انقلابا في مفهوم العمل ومعناه لدى الكويتيين. الذين عملوا منذ بدء الاحتلال في كافة المهن اليدوية والخدمية، وبعضها لم يدر في خلد أحد أنهم سيقدمون على الاشتغال بها، كأعمال التنظيف وغيرها.

غير أن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن بعد أعوام من هذه الكارثة: ما الذي أصاب قيمة العمل ومعناه في المجتمع الكويتي ؟ وللحق، فإن هذا سؤال شائك للغاية وتتداخل فيه عوامل متباينة، كما أن الإجابة عنه تتنوع بتنوع المنظور الذي يتبناه المرء تجاه مفهوم العمل بوصفه ظاهرة إنسانية. ولكن فكرة الضجر والملل وارتباط العمل بالحاجة النفسية للإنسان تشكل في نظرنا مدخلا مهما لمقاربة الإشكالية المرتبطة بالعمل، وذلك الأمر يرتبط بالظروف الموضوعية المحيطة بالإنسان.

وبدون أدنى شك تحتل فكرة الضجر والملل عند ممارسة العمل دورا جوهريا، وتحدد إلى مدى كبير موقع الإنسان وموقفه الحضاري، فضلا عن قدرته على التأقلم مع تحولات الحياة ذاتها. ولكي ندلل على ذلك، نستأذن القارىء في سرد رواية واقعية نراها مدخلا مناسبا لهذه الفكرة. وتتلخص في عمل أحد الأشخاص في مصلحة البريد، وكانت وظيفته في تجهيز أكياس البريد ونقلها من موقع لآخر، وكان عمله يتضمن نقل عدة أكياس مليئة بالرسائل يوميا. وبطريقة روتينية رتيبة يأخذ هذا الرجل الأكياس عينها ليفرغها ويعود بها. وبعد فترة طويلة شعر بالملل والضجر، وأحسّ بشعور طاغ باللاجدوى والاكتئاب، فأصبح عمله على الرغم من سهولته مضنيا ومؤلما ليس بمقدوره مكابدته ولا قبل له به.

وفي أحد الأيام، وأثناء نقله للأكياس اعتراه شعور طاغ في لا جدوى من وجوده الإنساني. وعلى الرغم من كونه متدينا ومتمسكا بأهداب الفضيلة إلا أنه أقدم على فعل يفتقد إلى أدنى درجات السلوك الأخلاقي بقيامه برمي أكياس الرسائل في الشارع لتتطاير كالريش في الهواء. لقد كانت تلك الجريمة لحظة الانهيار الإنساني لهذا الرجل. وبالطبع، فإن مصير كثيرين قد قذف به إلى الريح، فالرسائل قبل انفجار العولمة الاتصالية كانت القناة الوحيدة لربط أمور الناس ببعضها البعض ! ولكن رجل البريد المسكين كانت مشكلته تتلخص في اعتقاده أنه سينفق سني عمره وهو يقوم بهذا العمل وعجزت عيناه عن أن تبصرا نهاية لما يقوم به من تكرار ممل ومضجر، فهو على يقين من أن أكياس البريد في انتظاره يومياً، وأنه يعيش الحياة البائسة عينها كل يوم.

إن وضع رجل البريد في العمل يشبه إلى حد كبير أسطورة سيزيف. وفحوى هذه الأسطورة الإغريقية يجري كالتالي ؛ أصدرت الآلهة حكما على سيزيف بأن يدحرج صخرة إلى قمة جبل، وحينما تبلغ القمة تعود الصخرة لتتدحرج إلى السفح. وهنا يبدأ سيزيف بدحرجتها مرة أخرى للأعلى قبل أن تعود للسقوط مرة أخرى. ويلقي الفيلسوف والأديب الفرنسي

ألبير كامو في كتابه «أسطورة أوديب» 1942 الضوء على البعد الأخلاقي لموقف الآلهة، فيذهب إلى القول بأنها كانت حكيمة لأن العمل العبثي متى ما كان أبديا فإنه يتحول إلى أشنع عقوبة يكابدها الإنسان، ويشدد كامو: «لقد حكمت الآلهة على سيزيف أن يدحرج الصخرة بشكل أبدي إلى قمة الجبل لتسقط مرة أخرى إلى السفح بسبب وزنها. فقد فكرت الآلهة أنه ليست هناك طريقة أكثر بشاعة من العمل العبثي الذي لا طائل منه» .

وبوسعنا أن نستخلص حكمة بليغة من هذه الأسطورة؛ تتمثل في ضرورة رؤيتنا بعضا من المزايا فيما نقوم به من عمل. ولذلك ليس من المبالغة في شيء، القول إن العلة في انهيار رجل البريد التعس كان افتقاده للخيال. إذ لو أطلق لخياله العنان، و فكر في الكيفية التي تؤثر فيها الرسائل التي تتضمنها أكياس البريد على حياة الناس ومصائرهم، لكان بوسعه إدراك الأهمية الكبرى التي ينطوي عليها عمله. وكان بمقدوره تخيل رسالة واحدة كالتي يرسلها ابن إلى عائلته بغية العودة إليهم بعد طول اغتراب، أو رسالة زوج يبحث عن لقمة العيش بعيدا عن زوجته وأولاده يبث فيها شوقه وحنينه، أو ربما رسالة حب من عاشق لمعشوقته فرقت بينهما المسافات. كان بإمكان رجل البريد المسكين التفكير في ذلك كله ولكنه أخفق في ذلك، فقد استولى عليه الضجر ولم تعد عيناه وعقله يبصرون سوى أكداس لاتنتهي من أكياس البريد.

إن العمل يمثل للإنسان ضرورة قصوى، وقد قال ايمانويل كانط أحد أبرز منظري فلسفة الأخلاق إن البشر هم الحيوانات الوحيدة التي لديها حاجة وجودية للعمل. إذ بدون العمل فإن البشر سيقتلهم الملل، فالعمل يضخ في حياتهم الشعور بالرضاء. ويحاجج كانط بأن الترفيه لا يمكن له أن يقوم بهذه المهمة على المدى الأبعد، ويستطرد بأن الرجل أو المرأة اللذين يملآن حياتهما فقط باللهو سرعان ما يتملكهما شعور بفقدان الحياة. وهذا الأمر غير منبت الصلة بالقيم الاستهلاكية التي نرزح تحت وطأتها راهنا، فالمرء سيشعر بالرضا بعد أن ينجز عمله وليس في منعه عن القيام بأي عمل، لأنه هو الأداة الوحيدة التي تمكن قوة البشر من أن تتجسد وتمارس. وعلى الرغم من وجاهة ما يطرحه كانط إلا أن الأعمال جميعها ليست بالضرورة ذات معنى كما أن أغلبها يثير الملل ويبعث على الضجر في أوقات كثيرة .

وتدلل إحدى الدراسات على ذلك الأمر، فهناك أكثر من ثلث عينة من الأمريكيين خلال دراسة ذائعة الصيت أجريت العام 2005 كان من أبرز معطياتها أن غالبية من تم استطلاع رأيهم لم يكن لديهم -في الحقيقة- الكثير من العمل أو أنهم لم يحظوا بالتقدير المناسب في عملهم . وذلك أمر على قدر كبير من الأهمية، فهو يشير إلى أن الملل ليس المشكلة الكبرى في بيئة العمل أو أنه يتفوق على مشاكل أخرى كالضغوط والتوتر وغيرهما. ولكن تلك الدراسة تقدم مشكلة كبيرة أخرى تتمثل في الكيفية التي يتواءم معها الكثيرون في عدم قيامهم بأي عمل ؟ وكيف بمقدور هؤلاء تحمل عدم القيام بشيء ما يوما بعد يوم؟ ومع ذلك، يتبدى الملل غير ذات أهمية في الأيام التي تخلو من عمل، بل على النقيض من ذلك ينبثق من عبء العمل الكبير. ومع ذلك فإن الملل هو مشكلة ليست مرتبطة بحجم العمل أكان كبيرا أم صغيرا، ولكنه بالأحرى في صراع المرء من أجل إيجاد معنى للعمل الذي يقوم به، وفي اللحظة التي يكون فيها المرء عاجزا عن العثور على هذا المعنى فإن الزمن يتحول إلى عبء ثقيل.

قال أحدهم ذات مرة إن بعض الأيام كانت تبدو أطول من الأخرى. وبعضها كانت كما لو أنها يومان معا. لسوء الحظ أن تلك الأيام ليست الإجازة الأسبوعية. فقد كان يوما الأحد والسبت يمران في نصف الزمن لأيام الأسبوع التي نعمل فيها. وبكلمة أخرى، بعض الأسابيع مرت وكأننا عملنا عشرة أيام متواصلة وكان لدينا يوم وحيد للراحة.

هؤلاء الناس كانوا يعملون ولكنهم بالكاد تمكنوا من العثور على المعنى المفترض أن يتضمنه العمل. إن الحاجة الوجودية التي أراد كانط التقاطها لا تتعلق بالعمل تحديدا ولكن بالنسبة للعمل. فالعمل من الممكن أن يكون ذا معنى ولكنه أيضاً ممكن أن يكون النقيض. بل إن المرء بمقدوره القول إن ما قد يكون ذو معنى يمكن بكل حق أن يكون خاليا من المعنى. إن الحاجة إلى المعنى هي حاجة إنسانية جوهرية، والعمل هو إحدى المصادر الرئيسة لهذا المعنى. ومن جانب آخر، فإن العمل دون معنى يمكن أن يكون شبيها بالعذاب.

الوحدة الوطنية مطلب قيمي

د. عصام عبداللطيف الفليج

كثيرا ما نسمع مصطلح «الوحدة الوطنية» يتكرر عند أي موقف خلافي بين فئات المجتمع، رغبة لتجاوز الاختلاف نحو الاتفاق، وقرع جرس الإنذار عند التمادي في الاختلاف الذي قد يضر بمصلحة الوطن والمجتمع ككل.

ولعل مصطلح «الوطنية» يعد مصطلحا معاصرا، إلا أن «الوطنية» بذاتها لا تعد مفهوما جديدا، فالانتماء إلى الوطن والأرض قضية فطرية، فيها جانب وجداني وعقلي وروحي وشرعي وقيمي وأخلاقي، ولا أبالغ إن قلت كيميائي، وينعكس ذلك كله في الجانب «السلوكي»، الذي ينبني على كل ما سبق، إضافة إلى الجانب التربوي والبيئي والإعلامي .

لذا .. فلا غرابة أن تجد «الوطنية» يتغنى بها جميع أطياف المجتمع المتنوعة من قبائل وعوائل وأديان ومذاهب وأعراق وطوائف .. وغير ذلك، وحتى من التصنيف الاجتماعي والطبقي والاقتصادي، فمن كان في الوطن منذ عدة قرون، ومن كان في الوطن من بضع سنوات، تجدهم سواء في حب الوطن، وحتى بعض المقيمين من الوافدين، تجد فيهم روح «الوطنية» والولاء والحب لهذه الأرض، لما لمسوه فيها من حسن تعامل وعطاء بسخاء، وحرية بلا حدود. ولا مزايدة في حب الوطن، إلا من خلال انعدام السلوك الإيجابي تجاهه .

ومع تعدد المشارب والموارد البشرية لذلك الوطن، ومع تنوع الثقافات والتعليم والتربية والتنشأة، فمن الطبيعي أن تكون هناك اختلافات بينهم في كل مجال، يحكمها ويحددها القانون والأعراف، وتلزمها وتؤدبها التربية والتنشئة الاجتماعية. فإذا كان الإخوة في البيت الواحد يختلفون، فمن الطبيعي أن تكون هناك اختلافات بين البشر، ويكون الاختلاف في الرأي أمراً صحياً إذا كان من باب التشاور والتناصح، مع التأكيد على إخلاص النية لصالح الجميع .

وللخروج من هذه المتاهات الإنسانية، والاختلافات البشرية، وللابتعاد عن المشاكل الناتجة عن التعصب للفئة، ظهر مصطلح «الوحدة الوطنية»، ذلك المعنى الراقي الذي يلتف حوله جميع أفراد الوطن، متجاوزين الاختلافات والانتماءات، مقدمين مصلحة الوطن .

ومن اللطيف أن هذا الأمر متوافق مع الشريعة الإسلامية الغراء، فالولاء الطبيعي للوطن مقدم للدين، وهذا الدين هو من أطلق الولاء للأرض والوطن وفاء واحتراما لهما، وبالتأكيد بما لا يخالف الشرع .

وقد جاء على لسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم عندما خرج من مكة المكرمة مهاجرا إلى المدينة المنورة : «ما أطيبك من بلد، وما أحبك من بلد، ولولا أن قومي أخرجوني منك، ما سكنت غيرك»، وهذا يؤكد أن حب الأرض والوطن أمر فطري .

وكذا الانتماء إلى الأرض والوطن أمر طبيعي وضروري، فهذا الانتماء هو الذي يحقق الاستمرارية والبقاء، وهو الذي يدفع إلى الدفاع عن الوجود والحياة، مصداقاً لقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم : «من قتل دون أرضه فهو شهيد»، فما بعد ذلك من استدلالات على تقديم الانتماء إلى الأرض على المصالح الأخرى ؟!

وقد امتلأت السيرة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامي بأحداث كثيرة توثق أهمية «الوحدة الوطنية» بمفهومها الإيجابي، والتي تحتاج منا إلى تبصر وتدبر لاستخراج الفوائد منها، فما أحوجنا في هذا الزمن إلى تفعيل هذا المفهوم على أرض الواقع، وسط اختلافات فكرية وعقائدية، وما بين سياسات عالمية، وخلافات دولية، تحتاج منا إلى المزيد من اليقظة والوحدة الوطنية، منطلقين من أصول شرعية .

إن «الوحدة الوطنية» مطلب أخلاقي قيمي، دعمه الشرع والقانون والعقل والمنطق، وحري بنا أن نلتف حول هذا الوطن بما فيه الصالح العام للأرض والبشر، بما لا يخالف الدين، وهذه الوحدة هي التي تدفعنا للعمل والإنجاز، والإبقاء على هذا الوطن ينبض، ما دام فينا عرق ينبض .

أسأل الله أن يجمعنا جميعاً على محبته وطاعته، وحب هذه الأرض والولاء لها طاعة وخيرا «في القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه».

رابع الخلفاء الراشدين وخامس الشهداء من العشرة المبشرين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي كرم الله وجهه ورضي عنه، صهر سيد الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، هو رابع الخلفاء الراشدين، وزوج السيدة الشريفة، والمرأة الطاهرة العفيفة، فاطمة الزهراء رضي الله عنها سيدة نساء الجنة، بنت خير البرية وسيد البشرية صلى الله عليه وسلم.

طارق عديّ

لقد كان رضي الله عنه علما في الشجاعة، وإماماً في البلاغة والفصاحة، والحائز على قصب السبق في الخطابة. حديثه عذب، وكلامه جزل، إذا قال هز المنابر وحرك المشاعر وأيقظ الضمائر، وإن توسط الساحة وطالب المبارزة والنزال تأخرت وتراجعت أمامه الأبطال، ومن منا لا يذكر موقفه وارتجازه يوم خيبر وما أدراك ما يوم خيبر حيث قال:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة
كليث غابات كريه المنظرة

وقصة ذلك: أن أمه رضي الله عنها سمته يوم ولادته أسداً، باسم أبيها أسد بن هاشم، وكان أبوه أبو طالب يومئذ غائباً، فلما عاد لم يعجبه هذا الاسم وسماه علياً. ومن كناه التي عُرف بها رضي الله عنه: أبو الحسنين، ووالد السبطين، وأبو تراب، وكانت من أحب كناه إليه، وكان يفرح إذا نودي بها، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي كناه بها في قصة معروفة في كتب السير، عندما وجده نائما في المسجد وقد علق به تراب المسجد فأخذ يوقظه ويناديه قم يا أبا تراب.

إن الذي وضعته هذه الأم النبيلة، ثم شب في بيت النبوة، وترعرع في بيت ابن عمه صلى الله عليه وسلم، ورعاية سيدة من سادات قريش السيدة الشريفة الفاضلة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، صاحبة المحتد الأصيل والمعدن الجميل، لا بد أن يعُبّ من الخصائل الحميدة، والأخلاق السامية، والسلوك الرفيع، في دار أكرم بها من دار، وارفة الظلال بالفضائل والمحامد، وبيئة حسنة مزدانة باليمن والإيمان، والبركة والإحسان، إنها دار محمد بن عبدالله عليه الصلاة

والسلام، وحري به أن يكون من الرجال الشجعان، والصناديد الأبطال، والفرسان الذين لا يشق لهم غبار، ولا يليق بهم أن يولوا الأدبار، وإن أولى المواقع والمعارك في الإسلام موقعة بدر الكبرى التي كشفت عن ذلك الأسد الهصور، والبطل الضرغام، وذلك لما خرج من جيش المشركين عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، وابنه الوليد، وطلبوا المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أرجعهم لأنه أحب أن يبارزهم بعض أهله وذوو قرباه، ولذلك قال رسول صلى الله عليه وسلم «قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي» فبارز حمزة شيبة فقتله، وبارز علي الوليد فقتله، وبارز عبيدة بن الحارث عتبة فضرب كل واحد منهما الآخر ضربة موجعة، فكر حمزة وعلي على عتبة فقتلاه. كذلك هو قاتل حامل لواء المشركين يوم بدر طلحة ابن أبي طلحة.

وهذا شأنه في المبارزة والمنازلة وساحات الوغى وهو غيض من فيض، قال النووي رحمه الله تعالى: «وأجمع أهل التواريخ على أن عليا شهد بدرا وسائر المشاهد غير تبوك، وقالوا: وأعطاه النبي اللواء في مواطن كثيرة» (تهذيب الأسماء واللغات).

في الوفاء والفداء

فأما في الوفاء والفداء فيكفي أن نذكر تقديمه نفسه رضي الله عنه فداء للرسول ليلة الهجرة، ومبيته في فراشه، وتوسده لوسادته، وتسجيته لنفسه بغطائه، وهو يعلم أن القوم يطلبونه صلى الله عليه وسلم، وأنهم حريصون على قتله ومانعوه من الوصول إلى من يمنعونه وينصرونه من الأنصار رضي الله عنهم.

ففي سيرة ابن هشام أن رسول الله قال له: «نم في فراشي، وتسبح ببردي هذا الحضرمي، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم.»

وعن ابن عباس: «أن علياً قد شرى نفسه تلك الليلة حين لبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه»، وفي علي وإخوانه من الصحابة المجاهدين الذين يبتغون رضوان الله والدار الآخرة نزل قوله تعالى: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد» البقرة 207.

بيعته بالخلافة وإمارة المؤمنين

إن الصحابي الجليل الذي تتوافر فيه كل هذه الصفات، وتجتمع فيه كل هذه الشمائل والمميزات، حري به أن يكون خليفة للمسلمين، وجدير بأن يصبح أميرا للمؤمنين، وهذا الذي كان بعد مقتل ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد بويع بالخلافة في الحجاز، وتمت بيعته رضي الله عنه بالاختيار من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الحل والعقد المتوافرين يومئذ بالمدينة المنورة، لا بالإجبار والإكراه من أصحاب الفتنة من قتلة عثمان رضي الله عنه كما يسوق بعض المغرضين والكارهين والحاقدين على أمة الإسلام، ودليل ذلك ما رواه سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية قال: فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن هذا الرجل قد قُتل ولا بد للناس من إمام، ولا نجد أحداً أحق بها منك، أقدم مشاهد، ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال علي: لا تفعلوا فإني وزيرٌ خيرٌ مني أمير، فقالوا لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففي المسجد، فإنه لا ينبغي لبيعتي أن تكون خفيا، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، فلما دخل المسجد جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس.

وكانت مدة خلافته رضي الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهر وبضعة أيام، ولكنها مليئة بالأحداث الجسام، والفتن الكبار التي شغلت الدولة عن الفتوح والبناء، وكان من أعظمها وأكبرها معركة الجمل وموقعة صفين، وما تبعها من التحكيم، وأما أخطرها وأشدها فهو ظهور الخوارج وما هم عليه من المغالاة في الدين والجهل به، والتكفير للمسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم، والشدة عليهم، وتضليلهم والطعن فيهم. ومن الغريب أن هذه الصفات هي نفس الصفات التي تعاني منها الأمة في العصر الحديث من الإرهابيين، والجماعات المتطرفة التي تتبنى التفجيرات في المساجد والأسواق وبين الآمنين، وتخرج على جماعة المسلمين.

وكان من نتائج تلك المواقع استشهاد عدد من كبار الصحابة رضي الله عنهم،

سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه - ماليزيا

منهم حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد أعمدة الدولة في عهد الخلفاء الراشدين في السياسة والحرب، وكذلك طلحة بن عبدالله أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وكذا استشهاد عمار بن ياسر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: تقتلك الفئة الباغية.

التحكيم وظهور الخوارج

إن هذه الأسباب وغيرها استدعت الدعوة إلى التحكيم، واستعجلت رغبة الطرفين بالحل السياسي، فسعى العقلاء والفضلاء من الطرفين إليه، إلا أصحاب الفتنة من قتلة عثمان رضي الله عنه ورؤوس السبئية الذين سيكشف التحكيم والصلح تآمرهم وخيانتهم للأمة.

وهكذا تم التحكيم وانفض الاشتباك، ولكن دخل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في معركة أخرى أخطر، إنها معركته مع الخوارج، ولم تكن هذه المعركة مفاجئة له ولا مباغتة، وذلك بدليل ما رواه سُويد بن غفلة قال: سمعت عليا يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يخرج قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإن أدركتهم فقاتلهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة»، ولذلك كان رضي الله عنه على يقين أنه سيلقى هذه الفئة الباغية وسيقاتلهم.

ومع ذلك حاول أولاً أن يحاورهم وأن يقنعهم، وأن يردهم عن خطئهم وسوء فهمهم لكتاب الله عندما قالوا: «لا حكم إلا لله»، وأنها كلمة حق أريد بها باطل، فعادت إلى الحق منهم طائفة. كما أرسل إليهم حبر الأمة عبدالله بن عباس في جولة أخرى من الحوار، ورد عليهم في الكثير من تساؤلاتهم، فاقتنع بذلك بعضهم وأصر الباقون على غلوهم وتكفيرهم للمسلمين وخروجهم على الإمام الحق.

مسجد الكوفة بالعراق

معركة النهروان وما نتج عنها

أمام هذا العناد الأعمى، والبغي الخطير، كان لا بد له رضي الله عنه أن يفتح معهم حربا، وأن يحمي الأمة من شرورهم وبغيهم، وعندها قال قولته المعروفة: «أُمرت بقتال المارقين وهؤلاء هم المارقون». وبعدها كانت أخطر وأشد الوقائع بينه وبينهم، إنها معركة النهروان، التي كانت حاسمة قصيرة أخذت ساعات من اليوم التاسع من شهر صفر عام (38)هـ، وأسفرت عن مقتل عدد كبير في صفوف الخوارج، وتذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعا، وأن الذين فروا بعد الهزيمة الساحقة لم يتجاوزوا العشرة، في حين لم يُفقد من جيش علي إلا العدد القليل.

لقد تركت هذه المعركة في نفوس الخوارج جرحاً غائراً، وألماً مقيماً، لم تزده الأيام والليالي إلا إيلاما وحسرةً، وعندها قام نفر منهم واتفقوا على أن يفتكوا بعلي رضي الله عنه، ويثأروا لمن قُتل من إخوانهم، وكان منهم الشقي عبدالرحمن بن ملجم، والبُرك بن عبدالله، وعمرو بن بكر التميمي، الذين تواعدوا على أن يقوم ابن ملجم بقتل علي، والبرك بقتل معاوية، وعمرو بن بكر بقتل عمرو بن العاص، ففشل الاثنان واستُشهد علي رضي الله عنه بضربة الشقي ابن ملجم، وكانت وفاته في اليوم الحادي والعشرين من رمضان عام أربعين للهجرة، وفي هذا تصديق لنبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم حين أخبر بأنه سيموت شهيداً.

14 كتاباً أعدها مؤرخون اختصاصيون توثق وتسجل الملاحم البطولية لشهداء الكويت (1-2)

«الحيثيات»... صناعة الخلود في مكتب الشهيد

حسن عبدالله

«هذولا عيالي» لم تكن مجرد كلمة عفوية أودمعة عابرة فاضت بها عين قائد إنساني وزعيم حكيم مُحب لشعبه يوم استشهاد أبناء الكويت على يد الإرهاب في مسجد الإمام الصادق ، ولم تكن حسب «كلمة السر» التي أطفأت نار فتنة أراد لها مشعلوها أن تكون أشد من أي قتل ، وإنما هي . هذولا عيالي . منهج حياة وأسلوب حكم رسخه حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح طوال مسيرته المباركة والعامرة بالإنجازات .

فبالإضافة إلى حرص سموه الشخصي على سلامة كل مواطن أومقيم على أرض الكويت، واهتمامه بتوفير كل سبل الأمن والأمان للجميع ،فإن من تكتب له الشهادة بإذن الله تعالى، في أي مكان أوزمان ولأي سبب كان، فإن الأمير الإنسان والقائد الحكيم يوجه الدولة بكافة أجهزتها ومؤسساتها إلى رعاية أسرته رعاية تامة على كافة الأصعدة، وذلك من خلال مكتب الشهيد الذي يتولى إنجاز كل ماله علاقة بالشهداء ويرعى أهليهم، ليس رعاية مادية حسب، وإنما يعمل على حفر أسماء الشهداء بحروف من نور في قلب التاريخ، وتقديمهم إلى الأجيال القادمة كمثل أعلى وقدوة ،تخلدهم خلودا دائما وموضوعيا لامجال فيه لأي تشكيك أو مراجعة.

وبشكل علمي ممنهج وعصري، تم تخصيص إدارة في مكتب الشهيد تحت مسمى «إدارة التخليد والتكريم المعنوي» لتعمل على ترسيم المئات من أبناء الكويت والمقيمين الذين سقطوا ضحايا.. شهداء خالدين، عبر وسائل عدة من أهمها تلك اللجنة المعروفة بلجنة الحيثيات التي تتشكل من فرق بحث علمية ميدانية تقوم بجمع المعلومات الخاصة بالشهداء ،ثم، يحول أساتذة

تاريخ اختصاصيون تلك الحصيلة المعلوماتية المهمة إلى دراسات تاريخية موثقة، ينهل من معينها الأدباء ويستلهمها المبدعون والشعراء،ويجسدها الفنانون صروحا تذكارية ولوحات تشكيلية وإبداعات أدبية تضع الشهيد في أعلى عليين تأسيا بمكانته في الآخرة.

وقد أنجزت لجنة الحيثيات نحو 14 كتاباً - تحت عنوان «بصمات في تاريخ الكويت - شهداء الكويت بطولاتهم وتضحياتهم» تضم «باقة من أدب النصر على الاحتلال وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض، وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل والأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان لتظل نبراسا لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهدا على حب الوطن وتقديسه ووفاء لمن ضحوا بأرواحهم فداء للكويت».. حسبما كتب المدير العام لمكتب الشهيد فاطمة أحمد الأمير في مقدمة كتب الحيثيات التي ينبغي أن تجمع في مجلدات عند اكتمالها تحت مسمى «روائع الخالدين .. شهداء الكويت» (لدينا الكثير من الأفكار والمشاريع لتخليد ذكرى الشهداء عبر مئات السنين) يقول مراقب برامج التكريم والتخليد المعنوي بمكتب الشهيد أحمد عيسى سالم بوهادي ويضيف : لجنة الحيثيات انتهت من إعداد حيثيات تخليد الغالبية العظمى من الشهداء، وستنجز مهمتها بشكل كامل نهاية هذا العام بإذن الله . اللجنة يتم

«هذولا عيالي» منهج عمل دائم لسمو الأمير وخصوصا مع أبنائه الشهداء

دراسات تاريخية موثقة ، ينهل من معينها الأدباء ويستلهمها المبدعون والشعراء، ويجسدها الفنانون صروحا تذكارية

تشكيلها سنويا من فرق بحث ميدانية تلتقي أسر الشهداء ومعارفهم وذويهم وجيرانهم وزملائهم وأصدقائهم وكل من له صلة بهم ،وتسجل كل ما تحصل عليه من معلومات وروايات وبطولات ،وتقدمها «مادة خاما» للأساتذة المؤرخين الذين يقومون بمراجعتها وفهرستها وتأريخها وتوثيقها توثيقا زمانيا ومكانيا، وأخيرا صياغتها بشكل علمي في كتاب من كتب الخلود « شهداء الكويت بطولاتهم وتضحياتهم» يكمل مسؤول برامج التخليد بمكتب الشهيد : مجلس الوزراء هو المعني بتحديد من هو الشهيد حسب المرسوم الأميري المؤسس لإنشاء مكتب الشهيد . وقد اعتمد مجلس الوزراء ضحايا تفجير مسجد الإمام الصادق شهداء، وعلى الفور بدأنا في مكتب الشهيد بتنفيذ خطة عمل لتكريم هؤلاء الشهداء، واستقبال أسرهم وزيارتهم وتعريفهم بالنظام الخاص بهم في تعاملاتهم مع مكتب الشهيد، كي نفتح ملفات تشمل كل ماله علاقة بظروفهم وأوراقهم الثبوتية.

وبخصوص عملية تخليدهم من خلال كتب الحيثيات وبرامج التخليد الأخرى، يقول أحمد بوهادي، فإن ذلك يحدده مجلس إدارة مكتب الشهيد. فهناك تصنيفان للشهداء لدينا : خالدون وهم شهداء المقاومة والعمليات الحربية وشهداء الواجب وغيرهم، وغير خالدين كالأطفال الخدج الذين ماتوا في الحاضنات أثناء الغزو، أوالمرضى الذين فقدوا حياتهم نتيجة للغزو الصدامي إلخ. وعموما الأمر يسير وفق قرارات مدروسة منصفة للجميع.

وتسجل كتب الحيثيات الروايات الحقة للشهداء بعيدا عن المبالغة أو التهويل أو التهوين ولابد أن يقرأها أبناء الكويت كي يتعرفوا على إنجازات شهدائهم الذين ضحوا بحياتهم من أجل وطنهم .

حيثيات - 1 - مشاهد الخلود

حماسه الوطني وإيمانه بقضيته دفعته لتسجيل بطولات رائعة أصابت المعتدي بالذعر والارتباك.

كان لا يتقن الرمي إلا ببندقية صيد لكنه سرعان ما أتقن القتال بالسلاح، ثم شكل مجموعة صغيرة للمقاومة ضد الغزو الصدامي.

الشهيد فيصل بحر علي حسين البحر نموذج للمعدن الأصيل لرجالات الكويت المقاتلين الذين لا يقبلون الضيم ولا الرضوخ للظلم والاعتداء، كان يعمل في الطيران المدني بوظيفة راصد جوي، ومنذ الساعات الأولى لوقوع العدوان العراقي أصر على المقاومة مهما كان الثمن، فلا مجال للتردد أوالخوف. وكانت البداية لرحلة كفاح الشهيد فيصل في منطقة كيفان التي تدفق عليها الكثير من العسكريين من أفراد الجيش الكويتي والحرس الوطني بعد القتال الذي دار في المباركية، وقام الشهيد فيصل بالتعاون مع الشهيد منصور حمود وشخص آخر بمهاجمة مجموعة من الجنود مساء بالقرب من حديقة كيفان وتمكنوا من قتلهم وكان عددهم يتراوح مابين 20- 16، ومع أنه كان يعلم هو وزملاؤه حجم القوات المعتدية إلا أنه لم يأبه أو يتهاون، فقد

كان رافضا الاستسلام لأن إرادته وعزيمته أقوى من سلاح الأعداء. وفي كيفان شكل فيصل وبشكل سريع مجموعة للمقاومة، لكنه لم يكتف بذلك فقد كان يتعاون مع أكثر من مجموعة مقاومة في الفروانية والرميثية ،وكان إصراره يزداد يوما بعد يوم وأصبح أكثر شجاعة وجرأة في مقاومة المعتدي وراح يجمع السلاح من مناطق الدوحة والصليبيخات والرميثية، كما اهتم فيصل بإتلاف واقتلاع اللوحات الإرشادية من الشوارع لتضليل القوات العراقية الغازية واستخباراتها، كما قام بعمل هويات مستعارة لبعض الشبان حتى لا يتعرف عليهم العدو.

وقد نظر الشهيد فيصل في تلك الأيام القاسية فلم يجد أحسن من المرابطة والصمود والمقاومة لطرد المعتدي، فاستمر في نشاطه المسلح، وقام بحرق دبابة كانت تقف مابين منطقتي بيان ومشرف، كما فجر شاحنة تحمل ذخيرة وتقف عند جسر التحكم في الجابرية، بعد أن تأكد من عدم وجود حراسة حولها، وهاجم بقنابل المولوتوف الشاحنات العراقية التي كانت تحمل المسروقات من المؤسسات والمنازل، ولقد تعددت عمليات القنص لجنود العدو التي قام بها الشهيد فيصل رحمه الله ورفاقه، وإلى جانب هذا النشاط المسلح قام بتوزيع المنشورات التي تندد بالاحتلال العراقي وتدعو إلى المرابطة والصمود، وقد كانت زوجته تقوم بإعداد المنشورات بناء على طلبه.

وقد تم اعتقال الشهيد فيصل أثناء قيامه بعملية عسكرية تمكن خلالها من قتل عدة جنود محتلين وتفجير دبابة، لكنه لم يستسلم، وهناك في المعتقل في ثانوية عبدالله السالم بمنطقة الشعب حاول هو وأحد رفاقه الهرب واشتبكا مع حراسهما وتمكنا من الاستيلاء على سلاحهم وقتل 22جنديا عراقيا وهكذا فشلت محاولاتهما .وظل الشهيد فيصل ورفيقه الشهيد منصور في المعتقل يتعرضان للتعذيب الوحشي، فقد تم خلع أظافره وصعقه بالكهرباء وقلع إحدى عينيه، وبعدها قتل جنود الاحتلال الشهيد فيصل وزميله منصور وألقيا بجثتيهما خلف مستوصف النقرة الجنوبي وقاموا بتغطيتهما ببعض المنشورات بدعوى أنهما كانا يوزعانها، وكذلك لإثارة الخوف والذعر بين المواطنين.

وقد استشهد فيصل دون أن يعترف أو يدلي بأي اسم من أسماء رجال المقاومة، ولم تتمكن سلطات الاحتلال من التعرف على المتعاونين معه رغم التعذيب الذي تعرض له.

(الكلمات تعجز أمام بطولات الشهداء) تقول المؤرخة الدكتورة نجاة عبدالقادر الجاسم في مقدمة الجزء الأول من كتب الحيثيات التي تخلد و تسجل وتؤرخ للشهداء وتضيف: عندما تم تكليفنا بإعداد دراسة تتناول حيثيات استشهاد أبطال الكويت شعرنا بالسعادة، وكان

خطة عمل سريعة لتكريم شهداء تفجير مسجد الإمام الصادق ورعاية أسرهم

باقة من أدب النصر على الاحتلال وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض، وهدية الكويت لأبنائها من هذا الجيل والأجيال القادمة

هذا التكليف مصدر فرح غامر لنا لأن توثيق بطولات شهداء الكويت الأبرار هو أقل ما يجب أن نقوم به، ولكن شعرنا في الوقت نفسه بالقلق، لأن الموضوع في حد ذاته جديد لم يسبق لمؤرخ أكاديمي الكتابة عنه، ولأننا نعلم أن الكلمات لا تفي الشهداء حقهم، ويعود القلق أيضا إلى الحزن الذي سوف يلازمنا أثناء إعداد هذه الدراسة ليس لأننا فقدنا هؤلاء الأبناء فقط، ولكن لمعاناتهم والتعذيب الوحشي الذي تعرضوا له على أيدي سلطات العدو العراقي.

إن الموضوع ليس بالأمر السهل وانما هو صعب وحساس وبالتالي عندما وافقنا وجدنا أنفسنا أمام مهمة ليست باليسيرة، ونحن هنا بصدد تأريخ مرحلة مهمة من حياة الشعب الكويتي.

المؤرخة الدكتورة نجاة عبدالقادر الجاسم رصدت في الجزء الأول من السلسلة التي تخلد بطولات أبناء الكويت حيثيات استشهاد الشهداء: هشام محمد عبدالعزيز العبيدان، جاسم محمد عبدالله المطوع، أحمد محمود قبازرد، فيصل بحر علي حسين البحر، عدنان محمد على الضامر، خالد محمد علي الضامر، اسماعيل ماجد سلطان مرزوق، سلطان ماجد سلطان مرزوق، أمير عباس حاجيه دشتي، يوسف جاسر محمد الصالح، وأبطال مجموعة المسيلة، وخلية القرين، ومعركة القرين.

وقد وثقت الدكتورة نجاة وسجلت بشكل موضوعي علمي قصة كل شهيد ضحى بحياته وهو يدافع عن الوطن، لتؤكد من خلال الشهداء أن هذه التضحيات تؤكد تمسك الشعب الكويتي باستقلاله وحريته وبالشرعية الكويتية التي كانت هي السبب بعد الله عزوجل في وقوف العالم مع

قضية الكويت العادلة.

حيثيات - 2 -
كتيبة الفهود

في 1990/8/4 جمعت إحدى الديوانيات في منطقة الرقة مجموعة من شباب المنطقة، كما حدث في معظم مناطق الكويت، وكانوا يتحدثون عن الظروف القاسية التي تعيشها الكويت نتيجة للاحتلال العراقي، فالتقى الشباب عند هدف واحد هو ضرورة القيام بعمل ما ويجب عدم الرضوخ للأمر الواقع، فهذا الوطن لابد من الدفاع عنه، ولايمكن أن يتم ذلك إلابجمع السلاح من المخافر والمخازن في منطقة الشويخ وغيرها، وبالفعل بدأت الخطوة الأولى بانطلاقهم إلى أحد المعسكرات التابعة للجيش الكويتي وجمعوا كمية من البنادق الذاتية، وأخذوا «سلاح الاستقلال»، وكان الشهيد عادل غلوم (أبوعدنان) أحد هؤلاء الشباب الذين كان معظمهم من أقربائه، وبعد ذلك توالى انضمام الشباب إلى هذه الديوانية، وكان أحدهم الشهيد على مجيد علم دار، ثم استقر الرأي على تكوين مجموعة للمقاومة أطلق عليها اسم ذوالفقار وكان معظمها من المدنيين. وفي الوقت نفسه، كان بعض هؤلاء الشباب قد تطوع في مستشفى العدان وقاموا بأعمال متنوعة سواء في السجلات أو العلاقات العامة أو التنظيف وإعداد الهويات ودفاتر وإجازات القيادة ونقل الدم والقمامة وغسل المواعين وغير ذلك من

د. نجاة عبدالقادر الجاسم: اعتمدنا على الرواية المباشرة من أهل ومعارف وأصدقاء الشهداء وبعض الوثائق التي توافرت لنا

لجنة الحيثيات ستنجز مهمتها بتسجيل جميع الشهداء نهاية هذا العام

خدمات ضرورية للمستشفى لذلك سموا بـ«مجموعة العدان» ولم يقتصر عمل المجموعة في تلك الأيام على هذا النشاط، ففي الوقت نفسه كان هناك بعض الشباب من العاملين في المستشفى في مجال المقاومة المسلحة. لكن سلطات المحتل الصدامي لم تغفل عن المستشفى وحضرت إليها وأزاحت صور صاحب السمو الأمير وسمو ولي العهد ووضعت صور الطاغية لكن ذلك لم يوقف الشباب عن أنشطتهم، بل زاد نشاطهم داخل وخارج المستشفى، فكانوا يأخذون بعض الأدوية والمستلزمات الطبية لعلاج أفراد المقاومة، وقاموا بعمليات قنص أفراد القوات العراقية، وجمع السلاح ونقله، ولم يكن أعضاء المجموعة يترددون عن أخذ سلاح الجنود القتلى، وكانوا يطلقون النار على أفراد الجيش المحتل عند نقاط التفتيش كما حدث في تلك العملية الناجحة ضد نقطة تفتيش بين منطقتي الرقة وهدية،وقامت المجموعة بفتح النار على العربات العسكرية للعدو، تلك العملية التي تمت تحت جسر صباح السالم التي نفذها الشهيد عادل غلوم، وفي الوقت ذاته لم يتوقف الشباب عن إعداد الهويات للعسكريين، بالإضافة إلى قيام أحد أفراد المجموعة بتصوير جثث الشهداء وتبصيم المجهولين منهم.

أما مجموعة الفهود فتعتبر من المجموعات التي تم تشكيلها منذ اليوم الأول للاحتلال من عدد من الشباب، وقد أطلق عليها هذا الإسم نسبة إلى الشهيد الشيخ فهد الأحمد رحمه الله، وكان هدف المجموعة توفير الحماية والأمن لأسرأفرادها بالإضافة إلى الدفاع عن الوطن عبرجمع السلاح وإعداد المنشورات التي تحث على المرابطة والصمود. وقد تعاونت هذه المجموعة مع عدد من مجموعات المقاومة، وعندما سمع أفرادها عن نشاط مجموعة العدان وبعض الإمكانات المتوافرة لديهم طلب أحد أفراد الفهود أن يجتمع بالشهيد عادل غلوم وتم التنسيق بين المجموعتين ثم انضمت مجموعة العدان إلى الفهود، وقاموا بعمليات مقاومة ضد المحتل.

في الجزء الثاني والثالث من الحيثيات ترصد الدكتورة نجاة عبد القادر الجاسم بعين المؤرخ الموضوعية بطولات وروايات حقة لاستشهاد عدد من أبناء الكويت المقاومين المناضلين.

(اعتمدنا على الرواية المباشرة من أهل ومعارف وأصدقاء الشهداء وبعض الوثائق التي توافرت لنا) تقول الدكتورة نجاة وتضيف: لقد اهتم مكتب الشهيد بالحصول على موافقة خطية من كل شاهد على ذكر اسمه، وأما الذي اعتذر فقد حرصنا على ذكر روايته وإفادته دون الإشارة إلى اسمه.

لقد واجهنا الكثير من العقبات، خاصة عندما تتسع المشاهدة للحدث في تلك الظروف المضطربة،

ولذلك فقد تعددت الروايات واختلفت أحيانا فكان لابد من مقارنة كل رواية بأخرى.

ويعلم القاريء – توضح د.نجاة – أن إعادة الحديث عن تلك الأيام القاسية لم يكن من الأمور السهلة بالنسبة للشهود وأيضا بالنسبة لنا، لأنها تتناول حقائق حول أبناء وأصدقاء ذهبوا ولن يعودوا لكن الواجب يحتم علينا جميعا أن نسجل بطولاتهم فهم أبطال الكويت الذين قدموا أرواحهم من أجل حرية الوطن.

حكايات الشهداء كما سجلتها كتب الحيثيات الموثقة، مفعمة بالدراما الإنسانية العذبة الرقراقة الخالية من التكلف أوالمبالغة، وهي نبع صاف كان على الدراما الكويتية والخليجية والعربية بشكل عام أن تنهل منها، وأن تسجل بطولات هؤلاء الأبطال الذين ضمخوا وجه الكويت بعطر دمائهم الطاهرة، عبر مسلسلات إذاعية وتلفزيونية وأفلام سينمائية تنشر الروح الوطنية وتعلي من قيمة الشهادة من أجل الوطن.

انظر إلى الشهيدة ليلى أحمد عبدالحسين بهبهاني : تذكرك أعمالها البطولية بالصحابيات الجليلات لم تكن ليلى .. تلك السيدة المرحة .. تتردد في تقديم العون والمساعدة للآخرين، مواطنة حبها لوطنها وانتصارها لكرامته أقوى وأهم من الزوج والأولاد، لذلك كانت تحاول القيام بأي عمل مهما كانت خطورته في سبيل الدفاع عن الوطن، ولم تسمح للخوف أن يسيطر عليها ويمنع نشاطها أو يحول دون خروجها من المنزل، وكان حنقها على العدو المحتل يزداد يوما بعد يوم. ومنذ اللحظات الأولى عندما سمعت الشهيدة باجتياح القوات العراقية أرض الكويت، طلبت من زوجها الخروج من المنزل للقيام بعمل ما للدفاع عن الكويت، فقد كانت متحمسة منذ اللحظة الأولى – حسب رواية زوجها التي نقلها أحد باحثي فرق لجنة الحيثيات– وقد بدأت ليلى نشاطها المقاوم في منزل أسرتها في منطقة بنيد القار، وتم اعتقالها في أوائل شهر سبتمبر ونقلت إلى مقر النادي العربي أو نادي كاظمة تلك الأندية التي حولتها سلطات الاحتلال إلى سجون لتعذيب أبناء الكويت، وهناك حاول الضابط إجبارها على الاعتراف بأنها من أفراد المقاومة كما سألها عن النقود التي كانت بحوزتها لكنها أبت الانصياع لأوامره، ورفضت الاعتراف ولذلك تعرضت للضرب الذي ترك آثار كدمات تحت عينيها، وكانت تقول بعد أن تم الإفراج عنها إنها تذكرت يوم القيامة كيف يسحب الناس من شعورهم خاصة وأن سلطات الاحتلال أجبرتها على مشاهدة الأسرى وهم يتعرضون للتعذيب على أيدي القوات العراقية.

وعندما لاحظ زوجها كثرة خروجها من المنزل نبهها لكنه فشل في إقناعها بالبقاء في المنزل، ولم يكن يعرف أنها من أفراد المقاومة الباسلة، لكنها أخبرته أنها أحرقت بالتعاون مع مجموعة من الأفراد سيارة عراقية في الجابرية، وتعدد نشاط الشهيدة ليلى رحمها الله وتنوع فقد قامت بتوزيع النقود وتقديم الخدمات واستدراج ضباط الجيش العراقي إلى فخاخ المقاومة الكويتية، وصناعة الحلوى المسمومة وتوزيعها على أفراد الجيش العراقي المحتل وغيرها من المواقف البطولية. لقد كانت ليلى متفائلة بالنصر وتشعر أن الكويت ستتحرر بإذن الله.

لقد اندفعت ليلى نحو الشهادة لتؤكد للتاريخ أن الوطن هو الأغلى ولابد من التضحية في سبيله، وكانت تقول قبل استشهادها أشعر أنني سأموت شهيدة . وقد نالتها فهي من المؤمنات اللاتي صدقن ما وعدن الله عليه.

لقد خرجت ليلى من منزلها – حسب إحدى الإفادات– يوم التحرير .. رافعة علم الكويت

وتهتف باسمها، لكن قوات الاحتلال المندحرة كانت قد نصبت مضاداً للطائرات وكانوا يطلقون النيران بعشوائية على السيارات المارة، فأصيبت ليلى إصابة خطيرة واستشهدت كما تمنت وفي يدها علم الكويت المعطر بدمها الزكي.

أفلام سينمائية ومسلسلات تليفزيونية

بالنسبة لمقترح تحويل الحيثيات إلى أعمال سينمائية وتليفزيونية يقول مراقب برامج التكريم والتخليد المعنوي بمكتب الشهيد أحمد عيسى سالم بوهادي: هذا الاقتراح وارد لدى المكتب ولكن تشوبه بعض المحاذير وهي التي تؤخر تنفيذه وهي كالآتي: حساسية الموضوع سياسيا وعدم اكتمال كتابة الحيثيات لجميع المخلدين وبعض المخلدين لا توجد لديهم حيثيات حيث إنهم كانوا من الأسرى ونحتاج إلى كاتب للسيناريو متمكن ولديه القدرة على توصيل المفهوم المطلوب ورسالة المكتب هي الفخر بالشهداء والفرح بهم وليس الحزن والكآبة حيث إن كثيرا من الكتاب يأخذ هذا المنحى ولم يتقدم أحد بعرض لكتابة فيلم أو مسلسل متميز للمكتب والأمر قائم حتى الآن ونحن بانتظار الانتهاء من جميع الحيثيات حتى نتمكن من عرضها بطريقة جذابة ومفيدة.

الشاعر الأسير الشهيد.. الكويتي الأشهر

فايق عبدالجليل أيقونة الغياب والحضور

أحمد المنشاوي

ليس بمقدورك تجاوز هذا الإسم الكبير وأنت تفتش في ذاكرة الغزو العراقي للكويت .. سوى أن تقف أمام شاهد الذكرى تضيئ شموعاً تليق بمقام الشاعر الذي رفض الخروج من الكويت مع عائلته وظل في منزله الي أن تم أسره من قبل قوات الاحتلال بعد انكشاف أمر ترويجه لأغنيات وطنية تم انتشارها في تلك المرحلة حيث كان يقوم بكتابتها لحث المواطنين على الصمود والمرابطة وتهتف بمواقف الرفض والاحتجاج ضد الاحتلال.

فايق عبدالجليل الذي ظل أشهر أسير كويتي حسب تصنيف جريدة الشرق الأوسط الدولية حتى تم العثور على رفاته في أحد المقابر الجماعية للأسرى الكويتيين في العراق وتحديدا في منطقة بحيرة الرزازه بالقرب من كربلاء .. وتم دفنه بعد ذلك في الكويت بمراسم رسمية وشعبية

و هو في مقام السيرة : فائق محمد علي العياضي الشاعر الكويتي صاحب الإصدارات الشعرية بالعامية والفصحى والقصائد الغنائية المعروفة على مستوى الوطن العربي .. من مواليد 1948وقد عمل موظفا في بلدية الكويت واشتهر باسم فائق عبد الجليل نسبة لخاله الذي تولى رعايته وكان قد بدأ حياته رساما ثم اتجه لكتابة الشعر واكتسب شهرة ومحبة تزايدت بمرور الوقت ولاسيما بعدما ظل خمسة عشر عاما بعد اعتقاله في الغزو دون تحديد مصيره إلى أن تم العثور على رفاته في أحد المقابر الجماعية للأسرى الكويتيين في العراق عام 2006.

مدرسة شعرية

يعد فائق عبد الجليل اسما بارزا ومؤثرا في الحركة الشعرية بل وينظر إليه على أنه صاحب مدرسة تجديدية في الشعر وهو الشاعر المثقف الذي يكتب بلغة تشبة لغة الماء وتمتاز قصائده في

«حبيب الأرض» فيلم يتناول سيرته تم عرضه في فترة عيد الفطر السعيد

صاحب المدرسة التجديدية الذي يكتب أشعاره بلغة الماء

ترجمت بعض قصائده للفرنسية كما تم تدريسها في بعض الجامعات

كان يرى أن القصيدة ضيف يأتي دون موعد وينسحب عندما يشاء

المرحلة التي شهدت توهجه الشعري بالثورة الرومانسية والخروج عن النسق الشعري المعتاد في ذلك الوقت وقد أعطت كلماته ملامح جمالية مختلفة ومميزة للأغنية في الخليج العربي وأحدثت نقلة جديدة. وقد ترجمت بعض قصائده للغة الفرنسية كما تم تدريسها في بعض الجامعات ونشرت له عدة قصائد في صحيفة لوموند الفرنسية في السبعينيات، وكتب عنه البروفوسور سيمون جارجي المستشرق والأستاذ في كلية الآداب في جامعة جنيف والذي كان قد زار الكويت في الستينيات .. يقول: التصميم على عدم الانسلاخ عن الأرض التي تختلط بحنين الشعراء وعواطفهم، هو الأشد بروزا لدى فائق عبد الجليل وأن أكثر ما يتمثل صدقه في هذه التعابير الحاشدة التي هي مزيج من العامية والفصحى والتي يطلق عليها اللغة البيضاء أو لغة الماء» كتب شاعرنا أيضا للأطفال وقد تم نشر تلك القصائد في مجلة سعد وهي مجلة كويتية قديمة للأطفال وكان مهتما بمسرح الطفل وله عدة إسهامات فيه كما كان مؤسسا لمسرح العرائس في الكويت حيث قدم أول تجربة في هذا المجال من خلال مسرحية (أبو زيد بطل الروايد) وقد شغل منصب رئيس مجلس إدارة المسرح الكويتي في الفترة من 1981 - 1988

كما كتب فايق عبدالجليل أيضا عدة أوبريتات غنائية وطنية واجتماعية أشهرها أوبريت الفقر عام 1980 بطولة الفنان عبدالحسين عبدالرضا وقد قام بغناء قصائده العديد من كبار المطربين منهم محمد عبده حيث كانت أشهر أغنياته (إبعاد) التي ترجمت لعدة لغات وغناها عدة مطربين عرب وأجانب وقد تغنى أيضاً بقصائده مطربون كبار منهم: طلال مداح وأبوبكر سالم وعبادي الجوهر

طقوس الكتابة

عن طقوس الكتابة عند فايق عبدالجليل تتحدث زوجته في إحدى المقابلات الصحافية .. تقول : القصيدة بالنسبة له عبارة عن ركام من الحزن والترقب والانفعال والدهشة ومزج بين الماضي والمستقبل، وقد قال لي ذات مرة «القصيدة يجب أن تسابق الريح وتسبق الزمن وإلا فهي قصيدة محنطة» .. كما كان يحمل فصيلة إبداع مختلفة ومميزة وقد تتلمس هذا في العديد من قصائده وتجد أيضا في بعض قصائده استقراء وتنبؤا لما هو عليه الآن من وضع أو حال. وأجمل قصائده كان يكتبها على الأرض، فكان إذا جلس على الأرض وطلب كوبا من الشاي الساخن أعرف أن إحساسه الشعري تحرك وهناك قصيدة مقبلة، أنتظرها بشغف لكي أكون أول من يقرؤها .. ولم تكن هناك قصائد أو قصيدة مقربة لنفسه بقدر ما كانت هناك قصائد تحمل ذكريات فكل قصيدة لها طابع خاص

لأنها تعبر عن مرحلة عمرية وإبداعية مختلفة ففي كل فترة زمنية يختلف الطرح والرؤية حتى أنه عندما كان يسأل عن أجمل قصيدة له كان يقول بأن «أجمل قصائدي لما أكتبها بعد» وكان يشبه القصيدة بالضيف الذي يأتي من دون موعد مسبق وينسحب من الجلسة عندما يشاء.

حبيب الأرض

وحيث لانزال في منطقة الإضاءة عن شاعر الكويت الكبير جدير بالإشارة هنا إلى ما كشفت عنه رئيسة دار لولوة للإنتاج الفني الشيخة انتصار سالم العلي من إنتاجها لفيلم «حبيب الأرض» الذي يتناول قصة فايق عبد الجليل. وقد أوضحت أن الفيلم جرى تصويره وإخراجه بطريقة عالمية وإن كان قد تم تنفيذه بالكامل على أرض الكويت، وسيتم عرضه سينمائيا في القريب

وحول ما تستهدفه من وراء تقديم هذا الفيلم قالت الشيخة انتصار: الخليج العربي تجاربه السينمائية شحيحة ولا ترتقي للمنافسة العالمية، والهدف من هذا الفيلم هو تجسيد شخصية كويتية كبيرة وملهمة أثرت في كل من حولها، فبرغم سنوات عمره القليلة إلا أن إنتاجه الإبداعي غزير ومتنوع، فكان لزاما علينا منح هذا الرجل حقه لذا أسمينا الفيلم «حبيب الأرض»، لأنه بالفعل أحب الكويت وضحى بدمه في سبيلها، لذلك فالفيلم ليس تجسيداً لمسيرته كشاعر، بل كعاشق لهذا الوطن وقد عبرت الشيخة انتصار عن سعادتها بالتعاون غير المحدود الذي لمسته من كل الجهات التي ساعدت في إنجاز الفيلم .

بدوره أوضح فارس فايق عبد الجليل أن هناك جهات عديدة ظلت تعرض على ورثة الشاعر الراحل تقديم عمل فني عن حياته ورحلته مع الشعر والإبداع، ولكن ما كان مميزاً في هذا العمل وجعلهم يقبلون به هو شغف الكاتب السينمائي والمخرج رمضان خسروه بالعمل بالإضافة إلى رؤية الشيخة انتصار والتي اشتهرت بأعمالها وإسهاماتها غير الربحية في خدمة المجتمع، حيث يعتبر ورثة الشاعر الشهيد هذا العمل بمثابة تكريم لكل شهيد كويتي وكل شاعر حقيقي ويضيف فارس بأن والده الشهيد هو رجل المعادلة الصعبة، حيث يظهر هذا الفيلم كيف ترجم والده شعره الإنساني والوطني إلى واقع ملموس، وذلك من خلال صموده وأسره واستشهاده في سبيل وطنه، مضيفا أن سر والده ليس في إبداع قصائده فقط، ولكن في شخصيته الإنسانية الفريدة، حيث كان يكتب بأسلوب البساطة المستحيلة والتي اتسقت مع حياته الإنسانية بشكل عام ..

و أخيرا لا ينتهي بنا مقام السرد عن فايق عبدالجليل - الرمز - ونحن في محاولة متواضعة لوضع باقة حب في مدخل الذكرى للشاعر الكبير وشهيد الوطن الإ أن نقول إن هذا المبدع المتميز يظل أبدا أيقونة الغياب والحضور.

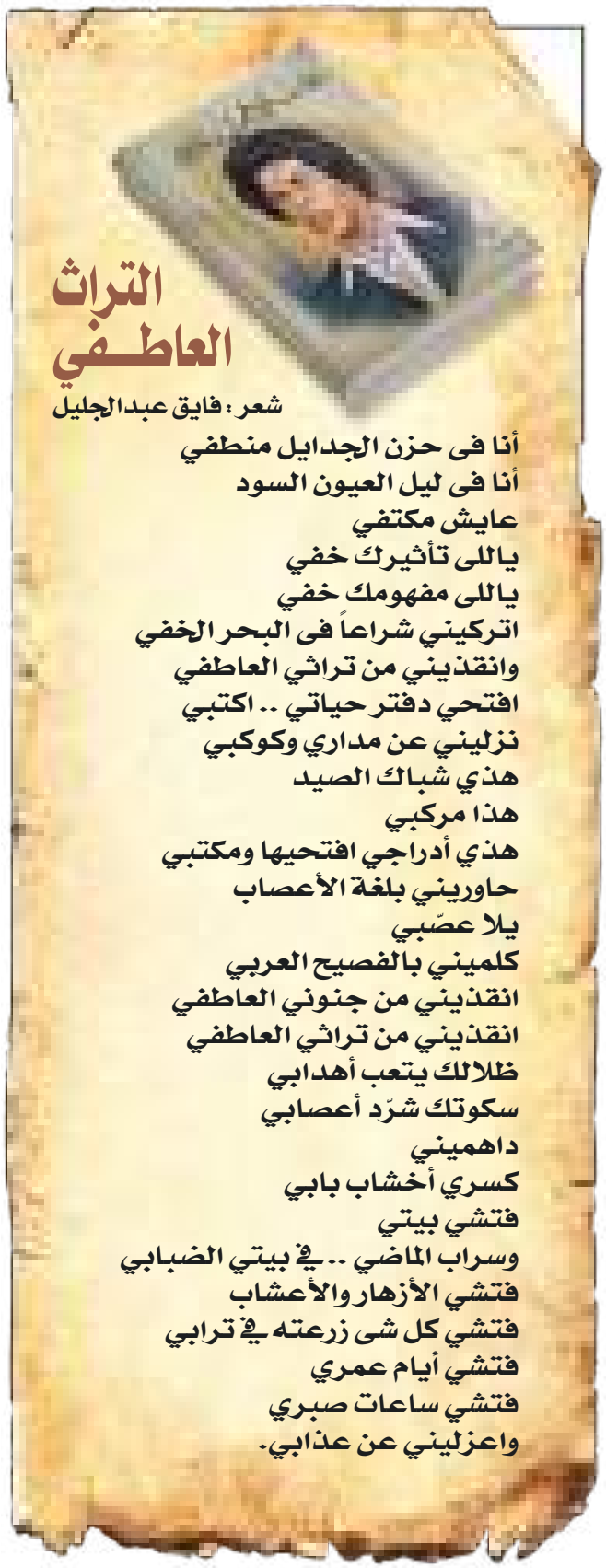

التراث العاطفي

شعر: فايق عبدالجليل

أنا فى حزن الجدايل منطفي
أنا فى ليل العيون السود
عايش مكتفي
ياللى تأثيرك خفي
ياللى مفهومك خفي
اتركيني شراعاً فى البحر الخفي
وانقذيني من تراثي العاطفي
افتحي دفتر حياتي .. اكتبي
نزليني عن مداري وكوكبي
هذي شباك الصيد
هذا مركبي
هذي أدراجي افتحيها ومكتبي
حاوريني بلغة الأعصاب
يلا عصّبي
كلميني بالفصيح العربي
انقذيني من جنوني العاطفي
انقذيني من تراثي العاطفي
ظلالك يتعب أهدابي
سكوتك شرّد أعصابي
داهميني
كسري أخشاب بابي
فتشي بيتي
وسراب الماضي .. في بيتي الضبابي
فتشي الأزهار والأعشاب
فتشي كل شى زرعته في ترابي
فتشي أيام عمري
فتشي ساعات صبري
واعزليني عن عذابي.

العرب والاستحقاقات المنتظرة..

هل من سبيل ليقظة عربية جديدة ؟

في ظل الوضع المتردي الذي يشهده عالمنا العربي المعاصر، نطرح على أنفسنا السؤال التالي كيف نستطيع، كأمة، الخروج من هذه الدائرة المغلقة، دائرة الاقتتال و حرب الكل ضد الكل؟ و هل من سبيل إلى « يقظة عربية حديثة» ثانية شبيهة بتلك اليقظة الأولى التي حدثت في القرن التاسع عشر ، والتي ربطت تقدمنا بتوفير شروط معينة كشرط التحرر السياسي و الاجتماعي والاقتصادي والفكري، وإرساء أسس الديمقراطية الحقة و صون الحقوق و ضمان الكرامة و تحقيق العدالة الاجتماعية للجميع ؟

د. عبد الجبار الغراز

وما موقفنا، كنخبة مثقفة، من كل هذه الصراعات الطائفية والمذهبية، الذي نخر اشتداد حدتها في الآونة الأخيرة، جسمنا الثقافي وشوه معالمه بعد أن كان مكونا حضاريا ذا حضور وازن في الثقافة العالمية المعاصرة وذا مكانة راقية استمدها من ماضيه المشرق ؟

وبأي معنى يمكن تفسير هذا النكوص، وهذا التراجع الخطير الذي شاب ثقافتنا العربية حتى غدت ثقافة راكدة لا توقظ في وجدان الأمة سوى الخنوع والاستسلام والانهزامية، ولا تشحن في الهمم وفي النفوس كل طاقة متجددة تساعد على النهوض والمضي قدما نحو بناء المستقبل المشرق، بدل الاكتفاء بالالتفات إلى الماضي والتباكي بحسرة على أمجاد الأجداد؟

ألم يحن الأوان بعد، للتفكير بجدية في التخلف الفكري الذي تعاني منه مجتمعاتنا العربية والإسلامية، والذي

أصبح سمة بارزة طبعت كياننا، فبتنا نعرف بها عند القاصي والداني؟

أما من وسيلة ممكنة ترفع عنا هذا التأخر التاريخي الجاثم على الأرواح والكاتم للأنفاس التواقة للتغيير؟

ألا ينبغي، في الأخير، والحالة هذه، تبني الفكر الحداثي والدفاع عن قيمه التي تولدت عنه ؟

يمكن القول، كمحاولة للإجابة عن بعض من هذه الأسئلة، أن الغرب الليبرالي قد استنفد أغراض القطبية الأحادية، وأصبح العالم، بفعل ذلك، يعيش مرحلة بداية نهاية نظرية «نهاية التاريخ» لـ «فوكوياما». فما نراه وما نشاهده، على مستوى الساحة السياسية العالمية، من غليان وفوران الأطراف على المركز لشاهد على ما قلناه. ذلك، أن للتاريخ منطقا خاصا به يفيد بأن كل الكائنات التاريخية تتعرض، بشكل حتمي، لحوادث تسعى إلى تشكيل تلك الكائنات، في بداية الأمر، في صورة بنية متماسكة داخليا، لكن، بعد حين من الدهر، يشوب الخلل العناصر، لتلحقها الأضرار والأعطاب، فتؤول إلى الفساد التدريجي الذي يعقبه الزوال والاندثار. ومعنى هذا القول أنه لا تجربة حضارية ستثبت، إلى ما لا نهاية، على وضع واحد في الزمان وفي المكان.

فأمام هذا «المكر التاريخي»، أصبحنا، نحن العرب، مدعوين أكثر من غيرنا من سائر الأمم المعاصرة، إلى التفكير في تبني إستراتيجيات عربية موحدة تجعلنا ننفض عنا غبار ما خلفته الأحادية القطبية من دمار وخراب عصف بـ «حلمنا العربي» الذي كاد، بالأمس القريب، أن يكون قابلا للتحقيق، لولا انخراطنا، بوعي منا أو بدونه، في رسم خطوط هذه التجربة التاريخية والاقتصادية اللبرالية الغربية الموسومة بالعولمة، إذ لم يسعفنا هذا الانخراط في تحقيق التحرر الاقتصادي والسياسي والفكري المنشود، بل قادنا، على العكس من ذلك، إلى الصراع المؤدي إلى التفرقة والتشرذم .

ينبغي علينا، والحالة هذه، إذا أردنا الخروج من هذا المأزق، الانتباه إلى مختلف العوامل الإيجابية، السياسية منها والاقتصادية والفكرية، التي راكمنا من خلالها، منذ أكثر من قرن ونيف، تجارب حياتية عديدة مفيدة وبناءة للذات الجماعية .

هذه التجارب قد ساعدتنا في تجاوز معضلات تولدت زمن الحرب الباردة، وهاهي الآن، ستساهم، ولا شك، إن أحسنا استثمارها عقلانيا، في تفكيك ما قد تم تركيبه، سلبا، مع بداية الألفية الثالثة إلى الآن، من معضلات جديدة، كما ستساعدنا أيضا في التحرر من تبعاتها نهائيا .

معضلات شكلت إطارا واسعا باديا للعيان، ارتسم داخله وضع عربي مأزوم، وعكس، بشكل تعسفي، لأنظار العالم، صورة قاتمة ومشوهة لأنسنتنا العربية الأصيلة .

فالمعركة الحقة التي تنتظرنا أن نخوضها جميعا، كعرب هي معركة التحرر الاقتصادي والسياسي والفكري، معركة بناء الذات وفق رؤية لا تتصالح مع الماضي إلا عند اعتماده كقاعدة ثقافية مركبة تدخل في تكوينها ثقافة الذات وثقافة الآخر، ولا تنظر إلى الحاضر كمجرد محطة عبور عابرة .

فهذا الطابع الجديد الذي يسم نظرتنا للماضي وللحاضر هو طابع كيفي سيساعدنا على رسم الخطوط العريضة للمستقبل الواعد. فقد نفشل أثناء خوضنا لمعاركنا الحضارية، وقد نتعثر بسبب طبيعة المسالك الوعرة التي تطؤها أقدامنا، لكن الإصرار على مواصلة المسير هو وحده الكافي لإقناع أنفسنا أن نقطة الوصول إلى المبتغى، مهما بعدت، لن تكون، هذه المرة، سرابا، بل واقعة حقة .

ويمكن القول بأنه لا سبيل إلى ربح رهان هذه المعركة إلا بالتثقيف ونشر الوعي في صفوف الشباب وإصلاح المنظومة التربوية. فمسيرة بناء الذات والكيان الجماعي تتطلب أن نفحص، بكل جدية وبكل عقلانية، أعطابنا المركزية وذلك بمحو تلك الصورة التي كوناها عن أنفسنا، وتكرست في أذهان الغرب كصورة نمطية للإنسان العربي .

نحن نعيش الآن في مفترق الطرق، والعالم من حولنا يتغير بسرعة. وهذا يتطلب ضرورة التصرف على وجه عقلاني أكمل للتكيف الإيجابي معه. فلا محيد لنا، إذن، عن تحمل مسؤولياتنا التاريخية الكبرى التي تنعكس، سلبا أو إيجابا، على أبنائنا وأجيالنا اللاحقة .. فلا منأى لأحد منا عن هذا التغير. فهدر الفرص في التنمية وتحديث البنيات السياسية والاقتصادية والفكرية معناه إنتاج مزيد من المآزق والمثبطات.

تعيد الحنين للماضي الجميل

أدوات منزلية تعبق بالتراث

نزار قاسمية

تميز الأثاث المنزلي في البيت الكويتي القديم بالبدائية

أدوات المطبخ الكويتي القديم تعرض تحفا فنية في أرجاء المنزل

التراث والموروثات القديمة من العادات والتقاليد التي لا يمكن تجاهلها، فهي جزء من حياتنا التي تذكرنا بحياة الآباء والأجداد، ونلحظ من خلالها عبق الماضي حيث اليسر وعدم التكلف، وتمثل الماضي العريق والذكريات الجميلة. وتعيدنا الى أكناف البيئة القديمة بكل محتوياتها ومكوناتها وأدواتها، وعلى الرغم من اختلافها عن وقتنا الحاضر الا أنها تمثل تراثا عريقا يتخلله نكهة الماضي وإرث الأجداد للأحفاد. تميز أثاث المنزل في البيت الكويتي القديم في طبيعة حياة دولة الكويت القديمة الذي اتسم بالبدائية، وعكس مظاهر التراث القديم في أدوات المعيشة المختلفة والتي تستخدم في الأكل والشرب.

إرث في القدم.. وإرث دائم للأجيال المستقبلية

من أهم قطع الأثاث القديم الذي استخدمه الكويتيون في داخل منازلهم في ذلك الوقت.

صينية الجاي

تحتوي صينية من النحاس، وقوري من المعدن يسمى (قوري ملبس)، وقوري من الخزف يسمى (قوري صين) .

بالسابق إذا (قوري صين) أصابه التشقق أو (البطوط) جمع (بط) لا يرمى في النفايات مثل الوقت الحاضر بل يربط بأسلاك معدنية على شكل طوق دائري بإحكام ويستخدم. وهناك أشخاص محترفون لهذه الحرفة، ويسمى من يقوم بهذا العمل (بالمجني) وطريقة العمل بحد ذاتها تسمى (بالتجنية) أي التصليح أما الأسلاك التي توضع حول (القوري) فتسمى (بالتسبيت) والآن يسمى (قوري مسبت).

صحون أم بنت

تشكيلة منوعة ومختلفة من (صحون أم بنت) وهي أقدم أنواع صحون الشاي التي عرفت واستخدمت في الكويت قديماً. وكانت

صحون شاي قديمة تحمل صورة علم الكويت السابق ذي اللون الأحمر ومكتوب عليه اسم دولة (الكويت) باللون الأبيض .

صينية معدن

وعاء معدني دائري استخدم في البيت الكويتي القديم، وكان يتم استيراده من الهند منذ الخمسينات، كما كان يوجد (صينية صفر) وهي من النحاس الأحمر «صفر» بداخلها نقوش هندسية جميلة. بالإضافة إلى نوعية أخرى من صواني صفر لا تحتوي على نقوش وكانت تستورد من الهند منذ الثلاثينات وتستخدم في البيوت الكويتية قديما .

طاسة

تصنع من المعدن وتستورد من الهند، (الطاسة) الشمالية التي في الصورة رقم (7) عمرها أكثر من 92 عاما أما الثانية فعمرها ما يقارب 72 عاما . (الطاستان صغيرتا الحجم قطرهما لا يتجاوز عشرة سنتمترات، كان يحفظ بداخلهما في السابق لوازم واحتياجات الأسرة مثل البخور والزعفران وبعض المصاغ.

جولة أم كلاص

أقدم أنواع (جول) الغاز الذي عرفته الكويت، وشاع استخدامه منذ زمن بعيد، والجولة التي في الصورة رقم (8) عمرها مايقارب 120 عام. وسميت باسم (أم كلاص) لكونها ذات رقبة طويلة تشبه (الكلاص).

جولة جاز

أستخدمت هذه (الجولة) في الخمسينات، وتعتبر في تلك الفترة احدى الوسائل المتطورة في الطهي. علما أنه تم استخدامها مرة أخرى في التسعينات وبالأخص خلال الاحتلال العراقي الغاشم .

قدر صفر

مصنوع من النحاس الأحمر، وهي قدور نحاسية كبيرة الحجم لم يتم تلميعها وتستخدم في الغالب لصنع الأكلة الشعبية التي تعرف (بالهريس) لكونها كبيرة الحجم فيطبخ بها أكل (العزايم).

وتوجد جدور صفر صغيرة ولكونها من النحاس فإنها دائمة الصدأ (الحلي) فيتم تلميعها وتعرف هذه الطريقة (بالتبييض). والقدور التي نشاهدها في الصورة رقم (12) تستخدم في البيوت الكويتية القديمة لطهي الطعام ومن الملاحظ أنها ثقيلة الحمل وجيدة الصنع.

المطبق

وعاء معدني قديم يستخدم لحفظ اللبن والزبد او الحليب ومن ثم يهدى (المطبق) للبيوت المجاورة أو الأسر الصديقة.

المحماس

يصنعه الحدادون قديما في الكويت ويستخدم في (حمس) البن الذي جاءت منه تسمية (المحماس). حيث يوضع البن داخل الوعاء فوق النار وتقلب حبات البن في الأداة الحديدية المتصلة (بالمحماس). ويلاحظ بأن الأداة الحديدية متصلة بسلسلة مع المحماس وذلك للوقاية من لهو الأطفال بها وفقدانها .

دلال القهوة

تستخدم لتقديم القهوة المرة، وعرفت في الكويت قبل دخول الشاي. وتعتبر القهوة

المرة مشروب الضيافة اليومي المفضل عند الحضر وأهل البادية سواء كما كان يشربها (الغاصة) في البحر كثيرا في الصباح الباكر قبل الشروع في مزاولة مهنة الغوص، بالإضافة إلى أنهم يحتسونها مع حبات من التمر خلال فترات الاستراحة.

الرحاة

عبارة عن طبقتين من الحجر على شكل دائري، الطبقة السفلى في أوسطها مسمار سميك ليساعد على تثبيت الطبقة العليا، وتدار الطبقة العلوية بعد وضع البقول المختلفة في الفتحة العليا فتخرج مطحونة من بين طبقتي «الرحاة» تبعاً للحركة الانشطارية بالدوران. وهناك مهنة كويتية قديمة وجدت بوجود «الرحاة» هي مهنة «النكاس» الذي يتجول بين الأزقة (السكيك) والأحياء (الفرجان) صائحا (نكاس .. نكاس) فينادى عليه ليقوم بعملية تنقير طبقتي «الرحاة» بأداة حديدية لكي تصبح طبقتا «الرحاة» خشنتين فتساعدا في عملية طحن الحبوب

الملاس

أداة حديدية من النحاس، دائرية الشكل وبها ثقوب ومتصلة باليد، حيث يستخدم (الملاس) في استخراج الطعام من القدر (النجاب) وهناك مثل كويتي يقول (اللي في الجدر يطلعه الملاس).

المشخال

آنية من النحاس بها ثقوب صغيرة، ويوضع الأرز بداخله لتصفيته من الماء. ويستخدم (المشخال) غالبا في صنع الأكلة الكويتية الشعبية التي تعرف (بالمشخول) لسبب أن ماء الأرز (ينشخل) من خلال ثقوبه .

الجيلة

وعاء من النحاس، وقطره مابين 10 إلى 15 سم يستخدم في تحديد كمية المواد الغذائية المراد احتسابها، وتسمية (الجيلة) جاءت من المكاييل .

المقراف

يشبه (الجيلة) تقريبا ولكنه أكبر قليلا من ناحية الحجم ويستخدم كوعاء لشرب الماء أو (لقرف أي مواد أخرى) .

الصميل

حيث يوضع الحليب الرائب (الروبة) بعد إضافة الماء إليه في (الصميل)، ثم يعلق من طرفي الحبلين في أداة خشبية لها ثلاثة أرجل تسمى (بالمرياحة) فيتم خض (اللبن) جيدا حتى يستخرج منه الزبد.

السفرطاس

يصنع (السفرطاس) من المعدن وهو مشتق من كلمتين هما السفر بمعنى الترحال، والطاس بمعنى الوعاء. وهو وعاء السفر. ويتكون من وعاء معدني قوي مبطن بوعاء آخر بمثابة عازل حراري للمحافظة على سخونة الأكل عندما يوضع في الأواني المعدنية المتراصة فوق بعضها البعض، ومن ثم توضع بداخل (الفرطاس) ويحكم إغلاقه لتناوله بعد ساعات عديدة.

وكان يستخدمه فيما مضى أصحاب بعض المهن التي تتطلب منهم الاستمرار في العمل دون العودة إلى البيت وقت الظهيرة للغداء.

المسن

أداة حديدية رفيعة تستخدم في (سن) السكين ومنها جاءت التسمية، وحسب ما هو مبين في الصورة رقم

توارثت هذه الأدوات الأجيال المتعاقبة وأصبح إرثا يتناقلونه عبر الأزمنة

(22) يرجع تاريخ صنع هذا (المسن) المنقوش على المسك في عام 1914.

الطبر

يستخدمه الجزارون (القصابون) في تقطيع اللحوم.

بيت الماجلة

(البيت) عبارة عن وعاء من المعدن له غطاء و (الماجلة) هي مواد التموين (فبيت الماجلة) عبارة عن إحدى وسائل حفظ مواد التموين، ويكون مكانه إحدى الحجرات في البيت الكويتي القديم التي تعرف (بدار الماجلة) يحفظ فيه السكر والأرز (العيش) والعدس والماش والطحين وأنواع أخرى من البقول .

بستوك الأجار

وعاء من الخزف يجلب من الهند، (البساتيك) جمع (بستوك) في الصورة رقم (24) يعود صنعه إلى عام 1954 م.

ويستخدم (البستوك) في حفظ المخللات الشعبية التي تعرف (بالأجار) ويحكم إغلاق (البستوك) جيدا ويوضع في سطح المنزل لمدة شهر تقريبا، ولا يفتح خلاله أبداً حتى لا تفسد المحتويات بدخول الهواء.

وقد اعتاد الكويتيون قديما قبل فتح (بستوك الأجار) بأن يكبروا ويذكروا اسم الجلالة، وإن وجدت المحتويات فاسدة (مخور) يقولون بأنه تم فتحه ولم يسم عليه.

المنفاخ

يستخدم في المطبخ الكويتي القديم لنفخ النار كي يشتعل الحطب أو (العرفج) ليتم طهي الطعام.

القرابية

وعاء زجاجي مخروطي يجلب من بلاد فارس في الماضي، يوضع بداخل (القرابية) رحيق الورد المعطر والذي يعرف (بماء الورد) ويستخدم كنوع من العطر حيث يوضع في الأناء المخصص لذلك ويعرف (بالمرش) كما يوضع (بالقرابية) أيضا (ماء اللقاح) الذي يستخرج من فحل النخيل ويستفاد منه بإضافته للشاي مما يعطيه ويكسبه نكهة ورائحة طيبة. وتحيط (بالقرابية) أعواد من القش لكونها وعاء زجاجيا رقيقا وذلك لوقايتها من الكسر.

أوتي الفحم والمرش

عرف في الثلاثينات وكان يجلب من الهند ويستخدم بوضع الفحم المتوهج في داخله لكي الملابس، أما المرش فعرف استخدامه في الأربعينات.

حيث يوضع الماء في الآنية الزجاجية مع تحريك الأداة الحديدية إلى الأعلى والأسفل، فينفث من فتحته العليا رذاذ الماء فوق الملابس.

الدوة

هي بمثابة المدفأة في الوقت الحاضر وتستخدم في الشتاء للتدفئة حيث يوضع بها الفحم المتوهج ويلتف حولها أفراد الأسرة في ليالي الشتاء الباردة، ويحلو حديث السمر والحكايات (الحزاوي) لمدة طويلة. كما توضع (الدوة) في (الدواوين) والمجالس ويوضع حول الفحم أباريق القهوة (الدلال) و (قواري الشاي). والفحم الذي يستخدم في (الدوة) يجلب من أفريقيا وبلاد فارس والهند، وأفضل أنواعه تجلب من كراتشي ويستمر ويمكث متوهجا حتى الصباح كم أن هناك أشكالا وأحجاما مختلفة (للدوة) وأفضل أنواعها التي تكون من النحاس .

الملالة

عرف الناس قديماً بـ (المَلاَّلَةْ) كانت تستخدم كثلاجة لحفظ بعض حاجياتهم ومطبوخاتهم عليها . وهي عبارة عن ثلاث خشبات أو أربع يبلغ طول الواحدة 60سم

تربط أطرافها ببعضها فتكون شكلاً ثلاثياً أو رباعياً فتعلق بحبال تربط في طرف (الندل) المطل على حوش المنزل فتأخذ وضعاً متدلياً معداً لخزن بعض المواد الغذائية دون أن تقع أو تتعرض للسطو، كما أنها تساعد على تعريض المواد الغذائية للهواء الطلق بدلاً من تخزينها داخل الغرف فتفسد من شدة الحر.

وأهم ما يوضع في (الملاله) ويبيت بها (القَبِيبَة) وهي الأرز البائت، كذلك الأسماك واللحوم وما يجفف منها وغيرها من أنواع الأطعمة التي تتطلب جواً ملائماً لحفظها. و(الملالة) التي في الصورة رقم (29) مصنوعة من الأسلاك على شكل دائري .

المنحاز

وعاء خشبي مجوف، يقتطع من الأشجار الضخمة في الهند ويتم تجويفه حتى مستوى النصف تقريبا، له أداة خشبية طويلة تسمى (باليد)، وتوجد أحجام وأشكال مختلفة

الأدوات الشعبية الكويتية بعض ما تبقى من تراثنا الجميل في ذاكرتنا ووجداننا

(للمناحيز) يستخدم في دق الحبوب وبالأخص الحنطة لصنع الأكلة الشعبية الكويتية المشهورة التي تعرف (بالهريس) و(للمنحاز) أهمية كبرى قبل حلول شهر رمضان المبارك، فتزاول البيوت الكويتية دق (الحب) وتتناوب النسوة في (دق الهريس) نظرا لأن تلك العملية تتطلب مجهودا كبيرا في حالة الكمية الكبيرة المطلوبة طوال شهر رمضان.

التاوة

قطعة حديد دائرة محدبة الشكل، تصنع من الحديد الصلب وتستخدم لصنع خبز الرقاق في البيوت الكويتية. حيث جاءت تسمية (الرقاق) من كون طبقة الخبز التي تصنع رقيقة، ويصنع منه الأكلة الشعبية التي تعرف (بالتشريبة) والتي يفضل أكلها في شهر رمضان المبارك.

عكة العداني

وعاء كروي دائري من الجلد الطبيعي له فتحة ضيقة، يوضع في داخلها السمن البلدي والذي يعرف بالدهن (العداني) .

الهاون

هناك العديد من الأشكال والأحجام المتنوعة من (الهاونات)، وهو من الأدوات المهمة واللازمة لاستخدامه في المطبخ الكويتي القديم. ونشير هنا في الصورة رقم (33) إلى (الهاون) الأسود من جهة الشمال الذي تمتلكه أسرة منذ أكثر من 112 عاما.

مارتن بيبر

يوليوس قيصر

هتلر

نابيلون بونابارت

بين علم النفس والبيولوجيا

الزعماء ... لماذا تربعوا على السلطة وبم يتميزون عنا؟

إعداد : ميسون يحيى

منذ تشكل المجتمعات البشرية قبل أكثر من ثلاثة ملايين سنة لم يخلُ مجتمع من قائد أو زعيم يحكمه.

والأسئلة التي تراود علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا هي كيف لفرد من أي مجموعة صغيرة أو كبيرة أن يصبح زعيما لها دون غيره؟ ومن أي طينة يتشكل الزعماء؟

هل هم مختلفون عنا؟ ولماذا لا نستطيع الاستغناء عنهم؟

أسئلة كثيرة ومتشعبة يحاول العلماء الوصول إلى إجابات عنها من أجل معرفة التركيبة النفسية والبيولوجية التي تميز الزعماء والقادة عن غيرهم من البشر.

بداية لابد من الإقرار بأن القاعدة الأساسية للتربع على عرش السلطة في المجتمعات البشرية سواء كانت هذه السلطة في المؤسسات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، أو حتى في الأسرة هي أن القائد أو الزعيم لم يكن له وجود، ولم يكن ليفرض وجوده إلا لأن الآخرين اعترفوا به وتقبلوه كما هو، فسحره قد يتلاشى في لحظة ما، وسلطته يمكن أن تنهار في مرحلة ما، وإلا كيف يمكننا أن نفسر سقوط بعض الأنظمة الكبرى في العالم؟

وبرغم أن هذه القاعدة غير كاملة نظرا لأن الزعيم قد يفرض نفسه بالقوة أو بالتضليل وبدعم من أنصاره ومؤيديه للاستيلاء على السلطة أو الحفاظ عليها، إلا أن الآلية الأساسية لوجوده تبقى واحدة وهي:

اعتراف الخاضعين لسيطرته بوجوده سواء بالرضا أو بالقوة.

يقول عالم النفس الاجتماعي وأحد منظري علم البيئة السياسية سيرجيو موسكوفتشي (1925 - 2014) في كتابه «عصر الجماهير» (1981) «يبدو أن الإنسان ومنذ بداية تكون التجمعات البشرية بحاجة إلى الإعجاب أو المحاكاة أو الخضوع لشخص آخر يعتبر بنظره كائنا أعلى منزلة، ففي البداية يكون الأب، ثم الأستاذ، والأخ الأكبر، ثم الفنانين العظام أو العلماء».

بداية العلاقة بين المسيطر والخاضع له

وهنا قد يبدو التساؤل مشروعاً: هل يعتبر ظهور القادة في المجتمعات البشرية قانونا من قوانين الطبيعة؟

بالنسبة إلى طبيب النفس والأعصاب جان ديديه فانسان فإن «نزعة السيطرة تمثل ميلا طاغيا لدى الحيوانات ما أن ينتظموا في تجمعات»

غير أن هذه القاعدة العامة لا تخلو من استثناءات مثل اليكاون وهو من الثدييات الضارية الأفريقية التي تعيش على شكل مجموعات غير متدرجة المراتب، أو غزلان الرنة التي لا يقود أحد من أفرادها القطيع.

وفي المجتمعات البشرية أيضا وجد علماء الأنتثربولوجيا

قبائل الأونا Ona

راسبوتين - نموذج الزعيم المقنع

موريس بيرجير

(الإناسة) مثل بيير كلاستر (1934 - 1977) مؤلف كتاب (المجتمع ضد الدولة) أن هناك بعض القبائل «البدائية» - خصوصا قبائل الأونا و الياهغان التي تعيش في أرض النار (أرخبيل في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية بالمحيط الهادي)- ليس لديها نظام رئاسي مؤسساتي، وهناك قبائل أخرى لديها زعماء ولكن بسلطات محدودة جدا.

ويشير عالم الأنثروبولوجيا مدير الدراسات في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية بباريس فيليب ديسكولا في كتابه «رماح الشفق» إلى أن مصطلح «زعيم» ليس موجودا في لغة «الجيفارو»، ففي هذا المجتمع الهندي الذي يعيش في أعلى الأمازون يوجد «رجال كبار» يطلق عليهم الـ (جنت) يقتصر دورهم على قيادة الفرق المقاتلة أثناء الحروب، ولا يمارسون أية هيمنة في محيطهم الاجتماعي»، ويضيف أنه خلال إقامته لدى قبائل الجيفاروس لم ير «جنت» يعطي أوامر (إلا إذا طلب من زوجته أن تحضر له شرابه)!!

نزعة فطرية

بالطبع هذه ليست سوى استثناءات لتفنيد نظرية أن الزعامة في المجتمعات قانون من قوانين الطبيعة، فالواقع أمر مختلف تماما، وبروز النزعة إلى «القيادة» قاعدة أساسية في جميع المجتمعات القديمة منها والحديثة، بل إنها نزعة فطرية تبرز لدى الأطفال في سن مبكرة أكثر مما نتصور.

موسكوفتشي: الإنسان بحاجة إلى الإعجاب أو المحاكاة أو الخضوع لشخص يعتبره أعلى منزلة منه

فوفقا لملاحظات مدير الأبحاث في المعهد الصحي والأبحاث الدوائية بباريس هوبير مونتانييه في كتابه «التعلق .. بدايات الحنان»، فإنه «ابتداء من عمر الـ12 إلى 15 شهرا يبدي الأطفال سلوكيات سيطرة أو خضوع إزاء أقرانهم، لكن الطفل الذي يفوز بلقب القائد ليس الطفل العنيد والعدواني، بل من لديه القدرة على استمالة الآخرين من خلال مواهبه في عقد المصالحات عبر التسويات الودودة حينا، أو المداهنة أحيانا»، ويضيف: «الطفل/ القائد يكتفي من وقت لآخر بالتهديد - الشفوي أو الحركي - ولكن دون أن يمضي إلى الفعل العدواني، إضافة إلى أنه يقوم بحماية زملائه الأكثر ضعفا، ويلعب دورا في تآلف وتنشيط المجموعة على طريقة الزعماء الأكثر مهارة بين البالغين».

الخصائص النفسية المبكرة للقادة

في الواقع تشكل القدرة على تحريك الآخرين ودفعهم إلى العمل في مشروع جماعي إحدى الخصائص النفسية المشتركة لدى معظم القادة، وهناك أيضا نقطة مشتركة أخرى تتجسد في الرغبة في توزيع الأدوار ويشير موسكوفتشي إلى أن «القائد لديه القدرة على اتخاذ القرارات في الوقت الذي لا يستطيع فيه معظم أفراد المجموعة حسم مواقفهم، كما أنه ينتقل مباشرة إلى الفعل في الوقت الذي يعلن فيه الآخرون عن نيتهم القيام به، ولهذا يتحمل القائد مخاطر فعله مما يجعله مضطرا إلى إيضاح خياراته والقيام بتوضيح المواقف المعقدة، وأحيانا إلى جعل الجميع ينتظرون قراره النافذ».

كما يتصف القادة بقدرتهم على انتداب واستخدام الآخرين بشكل عملي وغير مباشر أحيانا.

ويرى رئيس قسم الطب النفسي للطفل في مستشفى سانت اتيان، موريس بيرجير في كتابه «الجنون الكامن لدى رجالات السلطة» أن «التعطش إلى السلطة يلعب دورا في تكوين الدوافع النفسية للقادة، فهم يريدون دائما المزيد: المزيد من المهام، المزيد من الألقاب، المزيد من الإعجاب، وأيضا المزيد من السيطرة على الآخرين، إلا أن لديهم جميعا هشاشة نرجسية كبيرة، فهم يتساءلون باستمرار: «هل أنا معترف بي بما فيه الكفاية؟» وبما أن هذا الاعتراف أمر حيوي جدا بالنسبة لهم فهم مستعدون للقيام بأي شيء للوصول إليه، في حين أن الأناس العاديين لا يتمكنون من الوصول إلى عتبة ما للسلطة لأنهم غير قادرين على تكريس كل طاقاتهم في هذا الأمر مهما طال بهم الوقت، كما أنهم غير قادرين على القبول بمختلف التسويات ولا بإزاحة كل من يعترض طريقهم» وأخيرا

كما يؤكد بيرجير فإن: «السلوك النفسي الطبيعي للإنسان هو تجنب الأعباء الضخمة، في حين أن من ينحون باتجاه تسلم زمام السلطة لا يستطيعون العيش سوى في بيئات تتراكم فيها المسؤوليات».

السمات المشتركة للقادة

تمتزج الرغبة في التسلط لدى القائد مع دوافع أخرى من قبيل الرغبة في ممارسة مسؤوليات خاصة، أو التفاني في تحقيق الخير من أجل الصالح العام كما في الحركات السياسية والاجتماعية حيث يسعى كثير من الأفراد إلى القيادة لإيمانهم ببعض القيم كالحرية والمساواة والاشتراكية والأمة والبيئة .. إلخ .

وهناك قادة آخرون تتملكهم الرغبة في تسيير الأمور وفقا لأفكارهم مما يبعث لديهم الأمل في كسب المزيد من المال أو الاستفادة من المظاهر الخارجية للسلطة (المنصب، سكرتيرة شخصية، مكتب فخم... إلخ) ولكن بالنسبة لكثير منهم فإن الرغبة في القيادة ليست وسيلة لتحقيق شيء ما بقدر ما هي غاية في حد ذاتها .

وفي هذا المفهوم للسلطة يقول الفيلسوف مارتن بيبر (1878 – 1965) : «ما أن يتوقف المرء عن التفكير في السلطة على أنها القدرة على فعل شيء ما، حتى ينظر إليها كملكية، وبالتالي تنسحب سلطته نحو الانعزال وتتقوقع على نفسها، لتؤول إلى مفسدة لتاريخ العالم».

وثمة ميزة أخرى شائعة لدى الزعماء وهي قدرتهم على الإمساك بزمام الأمور، وعلى تشكيل «مرحلة» في سياق الحالة الفكرية للمجموعة أو للبلد الذي يقودونه.

بيناظير بوتو

مارغريت تاتشر

أنجيلا ميركل

ولتحقيق ذلك، يتوجب على الزعيم أحيانا أن يمتلك الشجاعة لمخالفة رأي الأكثرية، ومثل هذا الزعيم عليه أن يتخذ موقفا ضد التيار السائد، وعلى العكس قد يبرز نمط من الزعماء التوافقيين الذين يتحولون بالضرورة إلى «ديماغوجيين» (منفعيين) فلا يألون جهدا في التحايل على الجماهير سواء بالوعود أو الخطب الرنانة لكسب تأييدها التام.

العنصر الأخير لصورة الزعيم النمطية هي قدرته على الجمع والضم: «فهو يقوم بمثابة الرابط بين الأفراد من نفس المجموعة ويتيح لهم المجال لتوحيد جهودهم وفق النموذج الذي يراه هو لهم» كما يؤكد موسكوفتشي مضيفا أن: «الزعيم ينحو باتجاه الانفصال عن المجموعة دون أن يبدو شاذا بالنسبة لها»، فالمجموعة لا تميل بشكل عام لا إلى النشاز ولا إلى النمطية، بمعنى آخر يتوجب على الزعيم أن يتمكن من بلورة الاعتقادات التي يمكن أن تُنسب إليه كالقدرات الخارقة والسحرية مثلا، فالعامة يسود لديها اعتقاد بأن «زعيمها» قادر على مواجهة أي شيء»، وفي الوقت ذاته، عليه أن يبدي

هوبير: الطفل القائد ليس العدواني بل من لديه القدرة على استمالة الآخرين بمواهبه

جانبا من الحزم، فبقدر ما يكون مداهنا بقدر ما يغدو مكروها، والزعيم التقليدي غالبا ما يتسم بالتضحية ولابأس في أن يصبح «كبش فداء» إذا دعت الحاجة لذلك.

هل هناك اختلاف في تركيبة دماغ الزعماء؟

ثبت لدى العلماء من خلال الدراسات التي أجروها على أدمغة الزعماء بأن لدى من يتمتعون بحس قيادي معدلات أعلى من غيرهم بنسبة هرمون التستستيرون، ووفقا لدراسة أجريت على 1706 بالغ في معهد الأبحاث في بوسطن وجد أن معدلات هرمون التستستيرون أكثر ارتفاعا لدى الذين يشغلون مناصب قيادية، ومع أن هذا الهرمون الذكري يعتبر عاملا للعدوانية إلا أن المرأة يمكنها إفرازه ولكن بجرعات أقل.

فهل هذا بسبب ممارسة السلطة، أم نتيجة لها؟

وهل النزوع نحو القيادة يعود إلى سبب بيولوجي؟

يشير علماء مركز الأبحاث المتعددة الاختصاصات في مونت كارلو إلى أنهم استطاعوا تحديد مادة تقوم بتنشيط المراكز العليا في دماغ الزعماء، لكنهم لم يجدوا الدليل القاطع على الدور الذي يقوم به هذا الإنزيم وهل يقتصر وجوده على القادة أم أنه موجود لدى غيرهم من العلماء والفنانين.

ومن الثابت أيضا أن لا شيء يشير إلى أن أدمغة الزعماء العظام تختلف تشريحيا عن غيرها من أدمغة الناس العاديين.

ففي الذكرى السبعين لوفاة الزعيم لينين أكد علماء معهد المخ في موسكو أن نصف الدماغ الأيمن لمؤسس الاتحاد السوفيتي يتشابه مع نظراءه لدى العديد من الشخصيات.

في السياق ذاته وجد أن وزن جمجمة القادة ليس أكبر من المعدل المتوسط لأوزان جماجم بقية البشر.

كما لم يثبت وجود نموذج مثالي لحجم الزعيم، فالإسكندر وقيصر مثلا كانا ضخمي الجسم، في حين أن نابليون

أنديرا غاندي

لينين – دماغه لا يختلف عن دماغ الآخرين

زعيم الجيفارو

وهتلر كانا ضئيلي الحجم.

وعلى مر التاريخ كان هناك زعماء من الأطوال والأحجام كافة وهذا ما دعا عالم النفس والأعصاب بوريس سيريلانك للتأكيد في كتابه «ذاكرة قرد وأحاديث إنسان» أن «الوصول إلى السلطة ملكة تنشأ ضمن محيط اجتماعي للشخص وليست سمة بيولوجية».

النساء هل يحكمن بطريقة مختلفة؟

التاريخ القديم والحديث شهد الكثير من النساء الزعيمات أمثال بيناظير بوتو، مارغريت تاتشر،أنديرا غاندي، وأنجيلا ميركل، فهل يمكن القول إنهن يحكمن بطريقة مختلفة؟

في الحقيقة ليست هناك أدلة علمية تؤكد أو حتى تشير إلى أن النساء يمارسن السلطة بطريقة مختلفة عن الرجال، فهن يمتلكن الفضائل والخطايا نفسها الموجودة لدى الرجال، ومع ذلك هناك من يقول إن تزايد صعود المرأة لشغل مناصب قيادية يؤسس لبروز «سلطة» لا ترتكز على القوة بقدر ما تقوم على التوافق والإغواء.

لماذا لا يصل البعض إلى السلطة؟

بيبر: حين لايتم التفكير في السلطة على أنها القدرة على فعل شيء ما فإنها تتحول إلى مفسدة

التربع على عرش السلطة قد يكون حلما يراود الكثيرين لكن قلة منهم فقط من تنجح في تحقيق هذا الحلم ...

علماء النفس رصدوا ثلاثة نماذج لأشخاص يراودهم هذا الحلم لكنهم يفشلون في تحقيقه لأسباب نفسية حددوها بثلاث حالات:

- المكبوت

يريد الوصول للقيادة بأي ثمن لكنه لا يتمكن من ذلك على الرغم مما يبذله من مجهود، وبالرغم أيضا من أنه غالبا ما يمتلك جميع المواصفات «الموضوعية» المكتسبة التي تؤهله لذلك.

عالم النفس سيغموند فرويد شبه هذه النوعية من البشر بأستاذ في الجامعة كان يحلم بمنصب أستاذه وعندما عرض عليه ذلك بعد سنوات من الانتظار بدأ يشعر بالخوف وأخذ يقلل من شأن مؤهلاته إلى أن أعلن أنه غير جدير بالمنصب، فقد وقع في حالة من الاكتئاب الحاد وظهرت عليه أعراض المرض ما إن أوشكت رغبته أن تتحقق.

هذه النوعية من البشر اعتادت على كبت رغباتها لدرجة أنها أصبحت تفتقر لأي حافز، وهناك نوعية أخرى يشكل الطريق نحو السلطة الحافز لها أكثر من الوصول للسلطة فعليا وممارستها، وذلك على غرار دون جوان الذي كان يفضل غزو قلوب النساء وإغوائهن أكثر من الارتباط بأي منهن!

- المقنّع

يمارس سلطة هامة ولكن في الخفاء، فهذا النوع من البشر يعتبر الموجه الخفي في السياسة، أي يبقى رجل (أو امرأة) الظل ليلعب دورا ما خلف القادة الرسميين.

بالنسبة لهذه النوعية من الشخصيات – مثل الراهب الروسي الشهير راسبوتين– فإن المتعة الحقة بالنسبة لها تنبع من القيام بصوغ سلوك الزعيم، وطبع بصماتها الخاصة على مجريات الأحداث ما يثير لديها شغفا أكبر ممن يمارس السلطة بشكل مباشر، وباستطاعة هذا النوع من «السلطويين» إدارة دفة السياسة دون أن يحتلوا مقدمة المشهد.

- المتواري

يستطيع أن يصبح زعيما غير أنه يرفض السلطة عمدا أو أنه يتخلى عنها بعد أن يتذوقها لفترة قصيرة.

هذه النوعية من الأشخاص تمتلك جميع المواصفات التي تؤهلها لممارسة السلطة، لكنها تفضل الانسحاب من اللعبة، والدوافع المحتملة أنها لا تستطيع تحمل عبء السلطة، أو أنها تنفر من التسويات الحتمية التي قد تُفرض عليها.

الخلاصة

وجود «زعامة»، أو «قيادة» في أي مجموعة بشرية كبيرة أو صغيرة ضرورة حتمية تفرضها الظروف والسياقات الخارجة للبيئة الاجتماعية التي تنضوي تحتها المجموعة، ومن نافل القول إنه كلما كبرت المجموعة وازدادت سياقاتها الخارجية تعقيدا تزداد الحاجة إلى قائد يعمل على توجيهها وتنظيم شؤونها، إلا أن وجود هذا القائد لايقتصر على حاجة المجموعة أو اعترافها به فحسب بل يتطلب خصائص «نفسية» تحديدا يجب أن يتمتع بها الزعيم، وهي بعيدة كل البعد عن أية خصائص بيولوجية، ومما لاشك فيه أن تطور المجتمعات البشرية استدعت بالضرورة وجود قادة لايتمتعون بالخصائص والدوافع النفسية المطلوبة فقط بل يرتكزون على قواعد وأسس علمية في فن الإدارة والحكم، أما القادة السياسيون فإن زعاماتهم تخضع لمعايير كثيرة ومعقدة ليس أقلها «فن الممكن» وتلك مسألة شائكة أخرى.

لجنة مناقشة الرسالة

المسرح السياسي في الكويت بين الهويتين الوطنية .. والقومية

رغم ما يكتسبه موضوع (الهوية في المسرح الكويتي) من أهمية بالغة، بوصفه موضوعاً ثقافياً مركزياً، محملاً بالكثير من الدلالات السياسية، والاجتماعية، والتاريخيّة، والتراثية. القابلة للتماس والتقاطع مع موضوعات مركزية أخرى، من ذات النسيج الثقافي والسياسي والتراثي. كونه من الموضوعات القادرة على منح المسرح الكويتي خاصيته وطابعه واستقلاليته... فإن أحداً من الباحثين والدارسين الأكاديميين في علوم المسرح وفنونه، لم يعره فضاءً واسعاً من الانتباه، ولم ينشغل بدراسته، ومراجعته - نظرياً وتطبيقياً - انشغالاً أكاديمياً بحثياً معمقاً. باستثناء عدد قليل من المقالات والدراسات الموجزة التي أنجزها بعض الباحثين - من المهتمين بشؤون المسرح الكويتي - لصالح عدد من الندوات والملتقيات الفكرية المسرحية. إضافة إلى ما استعرضه بعض النقاد في محاضراتهم، ومقالاتهم الصحفية العابرة، دون زيادة على ذلك.

د. نادر القنّة

هذا الإهمال غير المبرر من جانب الباحثين والدارسين والنقّاد، كان الدافع الأساسي وراء إنجاز البحث العلمي الأكاديمي الموسوم (المخرج في المسرح الكويتي بين الهوية السياسية والتقنية الفنية 1991 - 2013) للباحث والمخرج والإعلامي الكويتي يوسف

الباحث والإعلامي الكويتي يوسف الشمري يضع أول رسالة علمية تناقش موضوع الهوية في المسرح الكويتي

شلاش الشمري. الذي تقدم به لشعبة التمثيل والإخراج بقسم علوم المسرح، بكلية الآداب في جامعة حلوان في مصر، للحصول على درجة الماجستير في الفنون المسرحية.

وقد تمت مناقشة الباحث يوسف شلاش الشمري في نهاية العام 2014،

وحصل على درجة الماجستير في الفنون والعلوم المسرحية، تخصص تمثيل وإخراج، بدرجة امتياز.

الهوية بين النظرية والتطبيق

توقف الباحث أمام موضوع الهوية في المسرح الكويتي بكثير من التأمل والدراسة البحثية الأكاديمية، هدفه في ذلك التأكيد على مجموعة الهويات التي ينتمي إليها الإنسان الكويتي وتتحكم في فكره وتوجهاته وسلوكه، وهو ما أكده منذ البداية في إهدائه حيث قال: «إلى الكويت بلادي، بهويتها الوطنية، والقومية، والإسلامية، والخليجيّة، والإنسانية. حيث صبغتني هذه الهويات»

عبر مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة بحث يوسف شلاش - نظرياً وتطبيقياً - في موضوع الهوية ضمن الاشتغالات المسرحية الكويتية ذات الطابع السياسي، واضعاً جُلّ جهده واهتمامه في محوريّ: الهوية الوطنية من جانب، والهوية القومية من جانب ثان، دون إهمال بالطبع لسائر الهويات الأخرى. وذلك ضمن استعانته المتقنة للمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، وفي جزء يسير من بحثه استخدم المنهج التاريخي. ما ساعده على دراسة قضية «الهوية في المسرح الكويتي» بأسلوب أكاديمي يقوم على الأدلة والبراهين والمرجعيات. ومن ثمّ الوصول إلى نتائج علمية جديرة بالاهتمام والتقدير، تشكل في معطياتها العامة إضافة جديدة للحراك المسرحي في دولة الكويت.

المسرح في الكويت اهتم بإبراز عدة هويات تتحكم في الإنسان الكويتي أهمها الوطنية والقومية والإسلامية والإنسانية

الهوية الكويتية في محاور البحث

جاءت تقسيمة الدراسة البحثية على النحو التالي: في المقدمة تحدث الباحث عن أهمية بحثه، والدوافع التي دفعته للاشتغال على قضية الهوية في المسرح، والأدوات العلمية المستخدمة لإنجاز دراسته، علاوة على تحديد مشكلة البحث، والمناهج العلمية التي اتبعها، وأسئلة البحث، وحدود الدراسة.

حمل الفصل الأول عنوان: (ماهية الهوية وتعدداتها ما بين الهوية الثقافية والهوية السياسية). وفي هذا الفصل توقف الباحث عند المرتكزات التالية: الهوية كمبدأ فلسفي، الهوية بوصفها متعينة وليست متجردة، الهوية بوصفها إشارة للتميز، الهوية في سياقات المعاني والدلالات المركبة، الجذور الأنثروبولوجية للهوية الثقافية، دور الثقافة والفنون في بناء وتعزيز الهويات. وعبر هذا المرتكز البحثي الذي يربط بين الثقافة والفنون وطبيعة الهويات تعرض الباحث إلى هذه القضايا:

- الهوية في إطار علاقاتها باللغة العربية والتراث العربي والإسلامي وعلاقتها في مجالٍ التربية والتعليم بوصفها مجالاً لترسيخ مفاهيم الوحدة والانتماء للأمة.

وفي إطار إشكاليات العصر درس الباحث قضية الهوية الثقافية على ضوء مفاهيم العولمة.

أما على الجانب التقني المتعلق بالمسرح فقد تناول الباحث في هذا الفصل المرتكزات البحثية التالية: المخرج المسرحي والتقنيات الفنية والمسرحية، المفهوم الحديث للإخراج المسرحي ومهنية المخرج ووظيفته، تقنيات العرض المسرحي، محدودية توظيف العناصر الفنية، العلاقة بين الفن والتقنية، العناصر الفنية في العرض المسرحي.

المسرح والهوية الوطنية الكويتية

حمل الفصل الثاني في الدراسة عنوان : (البنية العلائقية بين الرؤية الإخراجية وسؤال الهوية الوطنية)، وفيه عالج الباحث المرتكزات التالية: تفنيد الادعاءات العراقية حول ضم الكويت للعراق، دور الإعلام والثقافة والمسرح في مواجهة الاحتلال، الإعلام الكويتي المقاوم للاحتلال داخل الوطن، المراكز الإعلامية الكويتية في الخارج، المسرح الكويتي والهوية الوطنية، التوقف أمام أول مسرحية تمّ تقديمها أثناء الاحتلال وهي (أزمة وتعدي) والتي تمّ عرضها في القاهرة، وقد تناولها الباحث في إطار ما طرحته من رؤية فكرية تتعلق بموضوع الهوية الوطنية، وما تضمنته من قيم فنية وجمالية عززت من وظيفة الفن والثقافة في المحافظة على هوية الإنسان.

وفي هذا الفصل أيضاً توقف الباحث عند بعض المسرحيات الكويتية التي تناولت في معالجاتها الفكرية موضوع الهوية الكويتية الوطنية مثل مسرحيتيّ (سيف العرب) للمخرجة رقية الكوت، و(أشواق أسير) للمخرج منصور المنصور. مؤكداً أن رقية الكوت، ومنصور المنصور كانا من أبرز المخرجين المسرحيين في الكويت الذين دافعوا عن هوية الوطن والإنسان والتاريخ الكويتي، والأصالة الكويتية. حيث قدما رؤية فنية وفكرية تضع الهوية الوطنية الكويتية في المقام الأول.

المسرح والهوية القومية للكويت

كما درس الباحث موضوع الهوية الوطنية في المسرح الكويتي في الفصل الثاني من البحث، وخصص الفصل الثالث من بحثه لدراسة موضوع الهوية القومية في المسرح الكويتي. حيث جاء هذا الفصل تحت عنوان: (البنية العلائقية بين الرؤية الإخراجية وسؤال الهوية القومية). وذلك انطلاقاً من أن الإنسان الكويتي يتمتع بعدة هويات مركبة. وليس هوية واحدة، ومن أبرزها: الوطنية، والخليجيّة، والقومية/ العربية، والدينية/ الإسلامية، والإنسانية.

تبعاً لذلك فقد تضمن الفصل الثالث المرتكزات البحثية التالية: المفهوم الاصطلاحي للقومية، العلاقة الترابطية بين

الهوية الوطنية والهوية القومية والهوية الإسلامية للإنسان الكويتي، الصراع بين الانتماء الوطني والانتماء القومي، الدستور الكويتي ومؤشرات الهوية القومية، موضوع الهوية القومية في الثقافة الكويتية، القضايا القومية في المسرح الكويتي.

أما على المستوى التطبيقي في المسرح، فقد درس الباحث العروض المسرحية التالية، المتضمنة اتجاهات فكرية قومية، حيث أخضعها للتحليل الفكري والفني والجمالي. مؤكداً على هوية الخطاب القومي في الثقافة الكويتية بصفة عامة، وفي المسرح بصفة خاصة. وهذه العروض هي:

- مسرحية «رياح التغيير» من إخراج عبدالعزيز صفر
- مسرحية «إعدام أحلام عبدالسلام» من إخراج حسين المسلم
- مسرحية «حلم السمك العربي» من إخراج حسين المسلم
- مسرحية «بوخريطة» من إخراج حسين المسلم.

فكرة الهوية في الإطار المفاهيمي

في دراسته توقف الباحث بالشرح والتحليل عند فكرة الهوية وفق التصورات المحيطة بها فلسفياً واجتماعياً وسياسياً وسيكولوجياً وصدامها مع مفهوم العولمة.. وكان مما جاء في دراسته هذه: تقف الهوية الوطنية والقومية والدينية والسياسية على النقيض تماماً من مفهوم الاستلاب، بما تعززه من خصوصية للذات الفردية والجماعية في المجتمع

مسرحية «إعدام أحلام عبدالسلام»

مسرحية «رياح التغيير»

مسرحية «بوخريطة»

البحث يناقش مركّبات الهوية الكويتية بعد التحرير عبر أسئلة الانتماء والولاء للكويت والمحيط الإنساني

الإنساني الذي تتشابك فيه العرقيات، وتختلف فيه الأفكار - على نحو ديمقراطي - وتتعدد فيه التنظيمات الحزبية تبعاً لاختلاف الاتجاهات.

وفق ذلك، تلعب الهوية، انطلاقاً من مفهومها الفلسفي العولمة السياسية والاقتصادية والثقافية الناتجة عن توسع

المخرج في المسرح الكويتي بين الهوية السياسية والتقنية الفنية
(1991 - 2013)
The director in the Kuwaiti theatre between the political identity and the technique From (1991 to 2013)
رسالة الماجستير
يوسف شاكر الناصر
المشرف
أ. د. هاني مطاوع
مشرف مشارك
د. فريد الفرانسي
2014

المفاهيم الرأسمالية، والتي باتت تجتاح العالم اليوم شرقه وغربه، بما تحمله من دعوة مركزية إلى تذويب الهويات الثقافية وتفكيك الهويات القطرية والقومية، ومحاصرة الهويات الدينية وتهميش الهويات السياسية... لتبدو متمازجة مع بعضها البعض في صياغة أحادية معولمة، لا تظهر الفروقات والحدود التاريخية والجغرافية والإرثية فيها واضحة بين كتلة شرقية وأخرى غربية، أو بين مجتمع وآخر.

لأن فكرة الهوية في مفهومها الفلسفي والاجتماعي تنطوي على معان متعددة، أبرزها أنها تسمى وتبرز وتميز وتظهر، أو كما يجد فيها علماء السيكولوجية أنها تنطوي على إحساس ذاتي مقو للوحدة الشخصية وللاستمرارية الزمنية، أو كما يراها حقل العلوم السياسية في مقاربته مع التفسيرات السيكولوجية: أنها تعبير عن تفاعل وانتماء فكري إلى تنظيمات حزبية وأيديولوجية معينة تمتلك مفاهيمها الخاصة التي تناضل من أجل إقرارها وتحقيقها على أرض الواقع سواء في إطار الدولة أو البنية الاجتماعية أو حتى القبلية أو الأسرية.

لأن فكرة الهوية هكذا، فإن العولمة بما تمتلك من قوى ضاربة ومؤثرة فإنها تسعى إلى اقتلاع وإلغاء كل ما هو خاص ومتفرد ومتميز في المجتمعات الإنسانية. على نحو يحقق سيادة الدولة القطبية الواحدة، ويمنح الشركات متعددة الجنسيات الفرصة لفرض هيمنتها على السوق العالمي والواقع الاجتماعي.

وبالتالي تحجيم دور الاتجاهات المناوئة للعولمة في زوايا حزبية صغيرة، بحيث يسهل كسرها متى شاءت العقلية القطبية السلطوية ذلك.

تبعاً لذلك فإن

«الإيديولوجيا، والدين من أهم محددات الهوية، ولذلك فإنه إذا ما قرر الآخر/ المغاير إضعاف هوية ما، فإنه يتخذهما هدفاً أساسياً له أولوياته لينال منهما في حال قراره لقهر ثقافة ما، وتهديداً لهويتها، وكثيراً ما يتضح ذلك عبر عمليات الغزو الفكري بصورها المتعددة ودرجاتها المتفاوتة، فنجده يسعى لتفتيت وحدة الدولة - التي يفترض فيها أنها كيان متماسك - على عدة كيانات هشة ما بين طائفية، وعرقية، ومذهبية والهرولة إلى تعزيز ذلك ومناصرته وتأييده بحجة الرجوع إلى الجزور والأصول والتمسك بها في إصرار منه على تفتيت عضد الدولة القومية واختراقها، وبعثرة كيانها المتماسك كوطن له وحدته وحركته التفاعلية بين جميع طوائفه كشعب واحد، فيسعى إلى شرذمتهم وإثارة الفتن بينهم لينال من وحدة الدولة القومية، موظفاً بذلك الدين وأيضاً الأيديولوجيا لخدمة أغراضه تلك».

لذا، كانت الهوية -بما تعكسه من دلالات ومحددات- وستظل، الشغل الشاغل للحراك الثقافي والفني في أي مجتمع إنساني، كونها تعمل على تعزيز موضوع الوحدة الوطنية، وتساهم في نشر الوعي بحقوق الذات وحقوق الآخر على أسس ديمقراطية سليمة، كما أنها تعمل على الارتقاء بالذائقة الجمالية للمتلقي عبر إكسابه مهارات الحوار مع الآخر وفق ما تجسده البنية الفنية للأعمال من مفاهيم تقوم على الحوار والتفسير والتأويل، والتعود على الممارسة النقدية واستقبال الرأي الآخر، بوصفها صورة عليا من صور الفكر الديموقراطي.

الفن والثقافة والدفاع عن الهوية الوطنية

حول طبيعة العلاقة الجدلية بين الفن والثقافة والهوية، ودور الفن والثقافة في الدفاع عن هذه الهوية بكل أشكالها وأنماطها وتعدداتها أشار الباحث إلى ذلك بالقول: «كما لا يمكن الحديث اليوم عن فن مسرحي أو سينمائي أو تلفزيوني أو تشكيلي أو موسيقي ... إلخ - منزوع من هويته الفنية/ الواقعية، الرمزية، التعبيرية، الملحمية، العبثية، على سبيل المثال - فإنه لا يمكن الحديث عن ذات الفن بلا هوية فكرية/ مضامينية سواء كانت دينية أو أيديولوجية سياسية أو مذهبية أو قومية أو وطنية تبعاً للأغراض والمقاصد الوظيفية لهذه التجربة أو تلك. وفي الوقت نفسه لا يمكن فصل الهوية عن تراثها التاريخي والثقافي في بعدها المكاني، بمعنى لا يمكن الحديث عن الهوية خارج حدودها الجغرافية وإرثها التاريخي، فلا هوية دون حدود الزمان والمكان، وفي هذا تأكيد على مدى تأثر الهوية بالأحداث والمتغيرات التي تحدث على الساحة العالمية والإقليمية والمحلية».

استناداً إلى هذه المعطيات، فإنه أمام ما تعرضت له دولة الكويت في الثاني من أغسطس 1990م من احتلال عسكري غاشم، وانتهاك لحرمة الوطن والمواطن والمواثيق الدولية، وأمام ما حدث من تصدع في العلاقات العربية/ العربية، ما بين مؤازر للنظام الاحتلالي ومؤيد للحقوق والشرعية الكويتية، شعر المواطن الكويتي في حينها بخيبة أمل في مفهوم الهوية القومية، وأن هويته الوطنية تعرضت للاستلاب والإلغاء من قبل المحتل، الذي عمل على إلغاء وجود الدولة الوطنية، بكل مظاهرها الاستقلالية، وضمها إلى دولته ما يعني أنه فرض عليها - قسرا وقوة - هوية غير هويتها الوطنية.

منصور المنصور وحسين المسلم وفؤاد الشطي من أكثر المخرجين المسرحيين تركيزاً على الهوية القومية للكويت

مسرحية «سيف العرب»

مسرحية «عاصفة الصحراء»

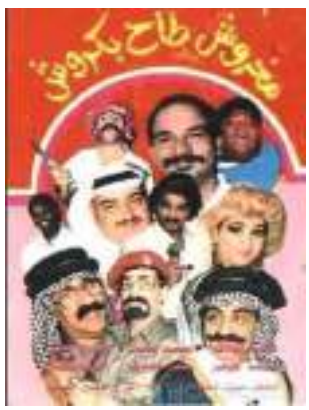

مسرحية «مخروش طاح بكروش»

هذه الخيبة، وما صاحبها من مشاعر حزن وألم وغصة سادت الشارع الكويتي - عامة - بكل أطيافه وشرائحه الاجتماعية وكانت باعثاً على النضال والمقاومة ضد سلطة الاحتلال، ومحركاً أساسياً لسؤال الانتماء. الذي تعد فيه الهوية والولاء الالتزام من أهم مقوماته وركائزه... كون الانتماء «يدعم الهوية باعتبارها الإدراك الذاتي للفرد لكل العوامل والعناصر التي تشكل المجتمع أو الوطن حيث يحتل - هذا الانتماء - سلوكيات تتسم بالولاء للهوية «والفرد هنا يعمل» بجد من أجل مصلحة الكيان المنتمي إليه والتضحية في سبيل الوطن.

المسرح الكويتي ... والهوية وسؤال الانتماء

لم يكن الفن والمسرح في الكويت، خلال هذه الأزمة، أو بعدها في معزل عن هذه المقاومة التي أخذت صوراً وأشكالاً متعددة منها: العسكرية، والشعبية، والثقافية، والتمرد والعصيان، والرفض.. حيث دخل الفنان المسرحي

الكويتي هذه المعركة بتحد عال، مكرساً جهوده الثقافية والإبداعية من أجل الدفاع عن الهوية الوطنية، فقدم تجارب مسرحية أثناء الاحتلال وبعده، معلناً فيها تمسكه المطلق بهويته الوطنية مثل: أزمة وتعدي «التي قدمت في القاهرة أثناء الاحتلال، «وسيف العرب» و«عاصفة الصحراء» «وشموع وتضحيات» وفي «خندق الاحتلال» و«تخاريف حصان» التي طرحت بجرأة عاليه سؤال الهوية وسؤال الانتماء في المجتمع الخليجي اعتماداً على عقدة الأصل والفصل في تحديد الهوية، والتنوع العرقي وأصول الانتماء القبلي في المجتمعات الخليجية و«صوت الزمن» و«الأسير» و«أشواق» «أسير» و«ليلة الخميس» و«راجع» و «الحرمنة» و«مخروش طاح بكروش» وغيرها من التجارب المسرحية التي عالجت موضوع الهوية بأفكار سياسية متباينة. ساهمت فيها الأفكار والاتجاهات والتكنيكات والتصورات الإخراجية للمخرجين الكويتيين في بلورة مفاهيمها الأيديولوجية: الوطنية، والرأسمالية، والثيوقراطية، والديمقراطية، والقومية حيث ركز مخرجو هذه المرحلة، فؤاد الشطي. عبدالعزيز المنصور، عبدالعزيز المسلم، منصور المنصور. حسين المسلم. عبدالعزيز الحداد. جهاد العطار، ناصر كرماني وغيرهم. على إعلاء شأن الهوية الوطنية الكويتية بفكر ديمقراطي، ونقد القومية ومهاجمة النزعة الاستبدادية في السلطة/ وكذلك رفض

مسرحية «حلم السمك العربي» في حديقة جمال عبد الناصر

مسرحية «راجع»

المسرح الكويتي بعد التحرير كثف إبداعاته لإبراز معالم الهوية الوطنية الكويتية رداً على أباطيل الاحتلال

ومقاومة نظام الحكم المطلق والدعوة إلى مساءلة كل من يساهم في تشويه صورة الهوية الوطنية.

لذلك غلب على اشتغالات مخرجي هذه المرحلة الأساليب الفنية التالية:

مسرحية « بوخريطة»

الواقعية، التعبيرية، الملحمية، التسجيلية، بغرض إيصال الرسالة السياسية إلى الذائقة الجمالية/ المتلقي من غير التباس أو تعقيد.

وفي مرحلة لاحقة لهذه الفترة، بدأت مع مطلع الألفية الجديدة محاولات إخراجية جديدة في الحركة المسرحية الكويتية تدعو إلى إعادة الاعتبار للهوية القومية التي تستند إلى مفهوم الأصالة والمعاصرة كضمانة أساسية للوحدة العربية بوصفها الهوية الأكثر فاعلية، والأكثر قوة في مواجهة تيار العولمة الذي يدعو إلى تفكيك الدولة القومية فكان مخرجو هذه المرحلة من أصحاب النزعة الطليعية في المسرح ومن أبرزهم: حسين المسلم، شايع الشايع، منقذ السريع.

وكان من اللافت للنظر أن عروضهم المسرحية توقفت عند الهموم القومية المشتركة، القضية الفلسطينية، القضية اللبنانية، أزمة الحرية والسياسة والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، ونبذ الخلافات والانشقاقات ونقد أيديولوجيا الرفاهية ومحاربة النزعة السلطوية في العلاقة بين الحاكم والمحكوم بوصفها تشكل أحد إنهيارات فكرة الدولة القومية، والمطالب بسيادة الديمقراطية البرلمانية والتعددية السياسية.

على ضوء هذا الفهم أنتجت هذه المرحلة عروضاً مسرحية طليعية ونوعية، تجاوزت كثيراً عقدة الانكفاء على محور الهوية الوطنية، وراحت تدافع باجتهاد كبير عن الهوية القومية، ومن أبرزها «الصباح الجميل» و«حلم السمك العربي» و«بوخريطة» و«آآآآه» .. و«إعدام أحلام عبدالسلام» و«البوشية» و«غسيل ممنوع من النشر» و «معتقل الحكام» و «ترنمواكي

يستيقظ المارد».

لقد استفاد مخرجو هذه المرحلة من النصوص المسرحية العربية. ذات التوجه القومي، التي أمدهم بها كتاب المسرح العربي المعاصر: عبدالرحمن حماد، محفوظ عبدالرحمن، د. نادر القنّة، مهدي الصايغ. عبدالأمير الشمخي... أو من خلال عودتهم إلى خزانة المسرحيات العربية ليستمدوا منها النصوص التي تعزز مفهوم الهوية القومية. وكان واضحاً على طبيعة هذه المرحلة الإتجاه نحو الخطاب المضامين الليبرالي والاشتراكي. أما المعالجة الإخراجية فقد ساد فيها الطابع الملحمي أكثر من غيره، وبدرجة أقل نسبياً الاتجاه الفني التعبيري، وكلاهما يلائمان أجواء المسرحية السياسية وعناصر بنائها.

لقد مهد الخطاب السياسي المتمركز حول طبيعة الهوية القومية في المعالجات الإخراجية المسرحية عند المخرجين المسرحيين الكويتيين إلى ظهور موجة حدثاوية من المخرجين المسرحيين الشباب من خريجي المعهد العالي للفنون المسرحية/ عملت بشكل لافت إلى تقديم معالجات إخراجية تصب اهتمامها في مضمون الهوية الإنسانية بوصفها الأكثر شمولية في التعبير عن قضايا الإنسان المعاصر في كل مكان. كما تعكس غربة هذا الإنسان، وانكساره أمام جبروت القوى السياسية والاجتماعية الكبرى، وعدم قدرة هذا الإنسان الإجابة عن الأسئلة الوجودية المتشابكة والمعقدة..

مسرحية «الهشيم»

مسرحية «كوكب الأحذية»

مسرحية «المشهد الأخير من المأساة»

مسرحية «الجندي المجهول»

مسرحية «فصيلة على طريق الموت»

مسرحية «لست أنت جارا»

كما اشتغلت تجارب هذه الموجة من المخرجين بما آلى إليه العالم من فوضى وخراب ودمار نتيجة الحروب والأزمات الاقتصادية الخانقة التي عصفت به. ومن أبرز مخرجي هذه الموجة، «مبارك مزعل، فيصل العميري، علي العلي، أحمد الشطي، عبدالعزيز صفر، جابر محمدي، محمد الحملي، خالد المفيدي، مساعد الزامل، هاني النصار، علي الحسيني، سامي بلال.

من عروض هذه الموجة: «الفيل» و«رجال الأنابيب» و«جميعاً في الأرجوحة» و«هل يفتح الباب؟» ... «المعلقون» .. «الهشيم» «كوكب الأحذية» «المشهد الأخير من المأساة» «الجندي المجهول» «ثورة» «فصيلة على طريق الموت» «طقوس وحشية» «وآخر رجل بالعالم» و «لمن لا يهمه الأمر» و «لست أنت جارا».

من الناحية الفنية «لم تخرج معالجات هذه الموجة من المخرجين الشباب عن سياق تكنيك مسرح العبث، لتأكيد الهوية الفاصلة بين الإنسان والإنسان، ولتجسيد صورة غياب الحوار بين الأطراف، وبالتالي انعدام التوازن الإنساني في هذا العالم. بالإضافة إلى النزعة التجريدية التي سادت معظم تجارب هذه الموجة، بهدف تعرية كل شيء، إظهاراً للحقيقة.

لم يكن الاشتغال المسرحي السياسي في المعالجات الإخراجية عند المسرحيين الكويتيين هو نقطة البداية في خريطة المسرح، ولم يكن موضوع الهوية الوطنية أو القومية أو الإنسانية من نتاج صنيعهم فقط. فقد سبقهم في إرساء معالم هذه الموضوعات عدد من المخرجين المسرحيين العرب ممن ساهموا في بناء الحركة الإخراجية المسرحية في الكويت، حيث تناولوها في تجاربهم المسرحية السياسية، وبخاصة ما يتصل بموضوع الهوية القومية والإنسانية، ومن أبرزهم: سعد أردش، أحمد عبدالحليم، كمال عيد، سناء شافع، زقزق، مانويل جيجي، شريف حمد، علي فوزي، وجميعهم كانوا أساتذة أكاديميين في المعهد العالي للفنون المسرحية في الكويت.

الهوية التراثية في السينما الكويتية

د. أسامة مسباح

رغم التحديات الكبيرة التي واجهت صناعة السينما في الكويت كانت الهوية التراثية هي الأكثر بروزاً واهتماماً

منذ ولادتها في النصف الأول من القرن العشرين، كما هو ثابت في كثير من المراجع التاريخيّة والثقافية والفنية، لعبت السينما الكويتية، على اختلاف ألوانها وفئاتها وتصنيفاتها، التسجيلية منها، والروائية (القصيرة، والمتوسطة، والطويلة) دوراً حيوياً وكبيراً في تعزيز مفهوم الهوية الكويتية الوطنية، التي تقوم على كثير من الإرث والعادات والتقاليد المتوارثة، وإفرازات التاريخ، سواء كان ذلك على مستوى الأبعاد الزمنية الماضية أو المعاصرة رغم التحديات الكثيرة التي تواجه حرفة صناعة السينما في الكويت، ورغم ما تعانيه في الوقت نفسه من إنتاج فنيّ يتسم بالتواضع الكمي سنوياً، قياساً إلى دول عربية أخرى. وهو ما أكده المخرج السينمائي الكويتي وليد العوضي بقوله: « ليس لدينا واقع سينمائي في الكويت، وما هو موجود عبارة عن جهود ومحاولات فردية، السينما في أميركا واقع وتحديات، والسينما المصرية واقع وتحديات، وأيضاً السينما السورية والإيرانية، لكن السينما عندنا تحديات فقط. ومن باب التحديات لا أستطيع إغلاق باب السينما ».

الهوية في التجارب السينمائية الكويتية الأولى

من ناحية تاريخيّة، فإنه بالعودة إلى الأعمال والتجارب السينمائية الكويتية الأولى، وبخاصة التسجيلية منها، والتي سبقت مرحلة الأفلام الروائية الطويلة في مطلع سبعينات القرن الماضي. و تمّ تصويرها وإنجازها تصطبغ

كُلياً بطابع الهوية الوطنية الكويتية، حيث سجلت الكثير من تفاصيل الحياة الكويتية وقتذاك، من أعمال يومية، ومناسبات دينيّة وأخرى اجتماعية، وعادات وتقاليد متصلة بحياة أهل الكويت.

ففي العام 1939 تعاون النوخذة علي بن ناصر النجدي مع القبطان البحري الأسترالي (آلان فليبرز) في تصوير فيلم سينمائي مدته ساعتان يتحدث توثيقياً، كما يقول الناقد السينمائي عماد النويري «عن جميع أعمال البحر منذ أن سافر مع النجدي من عدن حتى عودته. كما أنه صور بعض مناظر الكويت ومنها منظر الاحتفالات بعيد الفطر. كما صور سفر الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت آنذاك إلى الغوص قبيل القفال، هذا بالإضافة إلى الصور العادية للسفن ولأعمال البحارة ولمناظر الكويت القديمة».

منذ هذا التاريخ 1939، وهذا الفيلم، الذي أخذ فيما بعد اسم (أبناء السندباد)، استلهاماً من الكتاب الذي ألفه القبطان (آلان فليبرز) عن الرحلة ذاتها. فقد تحددت أولى معالم وملامح مجموعة الهويات الكويتية في السينما الكويتية، والتي تركزت حول:

- الهوية الوطنية المستقلة للمجتمع الكويتي والصحراوية والدينية والاجتماعية والتاريخية والمهنية والخليجية والعربية والثقافية.

السينما والهوية التراثية الكويتية

كان فيلم أبناء السندباد

أثناء زيارة الرحالة آلان فليبرز وحرمة

الأفلام الأولى التي تمّ إنجازها في الكويت اصطبغت كلياً بطابع الهوية الوطنية الكويتية

الشيخ جابر العلي السالم سخر كل الإمكانات المادية والمعنوية لإنتاج أفلام تبرز الهوية الكويتية

هو المنطلق الأساسي لاهتمام السينما الكويتية بقضية الهوية وإبراز ملامحها من فيلم إلى آخر، فمن الصعوبة أن نجد فيلماً كويتياً تسجيلياً، أو روائياً لا يؤكد على الهوية الكويتية بصفة عامة، والبحرية منها بصفة خاصة، ففي العام 1955، وعبر دائرة المطبوعات والنشر في الكويت تم تصوير فيلم سينمائي تسجيلي مدته ساعة عن الهوية البحرية، والهوية المهنية للإنسان الكويتي قبل مرحلة انطلاق النفط، حيث كانت مهنة الغوص على اللؤلؤ في طريقها إلى التوقف. وقد أسندت الدائرة مهمة إنجاز هذا الفيلم إلى سيف مرزوق الشملان، وراشد بن أحمد الرومي، والمصور سليم اشحيد. أما التصوير فكان في بعض مغاصات اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي: الكويت، السعودية، البحرين، قطر.. وقد أظهر الفيلم - كما ترصد المراجع - سلسلة من اللقطات التي تؤكد علاقة الإنسان الكويتي بالبحر بوصفها إعلاناً عن هويته البيئية.

مع الانفتاح السريع الذي بدأت الكويت تشهده في مطلع الستينات من القرن العشرين. حيث حياة عصرية بدأت في الكويت، مواءمة مع واقع فرضته مستجدات مهنية واقتصادية واجتماعية ومستجدات تاريخيّة جديدة، طلب الشيخ جابر العلي السالم رئيس دائرة الكهرباء والماء وقتذاك إنتاج فيلم سينمائي كويتي تسجيلي معني بإبراز الهوية التراثية الكويتية، التي تقوم في كل مظاهرها على علاقة المواطن الكويتي بمحيطه المكاني، وفي مقدمة ذلك البيئة البحرية التي تشكل جانباً من هويته التراثية.

ويشار إلى أن الشيخ جابر العلي السالم الصباح، كان قد طلب من فريق العمل المكلف بإنجاز الفيلم، أن يتضمن السيناريو والتصوير لقطات

متنوعة لبعض الأغاني التراثية المعنية بالبيئة البحرية الكويتية، وحياة الغواصين والبحارة في البحر. وهي اختيارات بلاشك تؤكد الهوية البيئية للكويت في بعدها التراثي والتاريخي والاجتماعي والثقافي والإنساني، والتراثي.

وبالفعل، وبناءً على دعمه المادي والمعنوي تم إنتاج الفيلم، بعد تصويره في مياه الخليج العربي، وسواحل الكويت والبحرين والسعودية. حيث اختار الشيخ جابر العلي للفلم عدداً من النهامة والبحارة المشهود لهم بالخبرة والكفاءة، ليخرج الفيلم في أفضل صورة معبرة عن الهوية التراثية الكويتية كما أراد لها.

وتشير المراجع التاريخيّة أن فريق العمل ضمن: النوخذة حمد السويدان على ظهر الجالبوت، والمصور مصطفى الحموري، والفنان الملحن أحمد باقر للتسجيلات الصوتية، وحمد الرجيب ضمن الفريق الإداري، وسيف مرزوق الشملان للإشراف على الإنتاج، بالإضافة إلى أحمد البشر الخبير بأعمال الغوص.

وقد اعتمدت بنية الفيلم على إبراز الهوية التراثية للكويت من خلال تصوير «البحارة وهم يعملون ويغوصون في قاع البحر لجمع المحار، وكذلك فتح المحار بحثاً عن اللؤلؤ، وبقية أعمال البحر، كل هذا مع الصوت. كذلك صور الفيلم أغاني البحر، وهوسات البحر على ظهر السفينة وعلى ساحل البحر في حالة المشعاب».

لقطة من فيلم «بس يابحر»

منذ فيلم «أبناء السندباد» وحتى «بس يا بحر» كانت العلاقة سيمائياً مع البنية البحرية علاقة هوية وتراث

لقد تم تصوير العديد من اللقطات لحياة البحر والغوص، غير أن الفيلم تمّ اختصاره بنصف ساعة، واستغرق إنجازه قرابة عشرين يوماً. ولم يعرض عرضاً عاماً. بل كانت عروضه لطلبة المدارس للتأكيد على هوية الكويت التراثية والتاريخيّة، حيث يشار أن سيف مرزوق الشملان كان يشجع الشيخ جابر العلي لإنجاز هذا الفيلم كونه يساهم بالمحافظة على تراث الكويت القديم، وهويتها التاريخية والتراثية، وفي مقدمتها أعمال البحر والغوص على اللؤلؤ، وكذلك أغاني البحر شديدة الأهمية والتنويع، الحاملة لهوية المكان.

عبر إنجاز هذا الفيلم اكتسب المصور السينمائي مصطفى الحموري خبرة جيدة في التعامل مع المادة التراثية والتاريخية الكويتية التي تشكل جانباً من هوية الكويت والمواطن الكويتي.

وأصبح لديه إلمام جيد جعله يقدم في العام 1965 على تكرار التجربة بدعم من وزارة الشؤون، والشيخ جابر العلي السالم الصباح. وحمد الرجيب على نفس الجلبوت السابق، وبمشاركة عشرين بحاراً من ذوي الخبرة في البحر والغوص، بالإضافة إلى اثنين من النهامة هما: راشد الجيماز وسعد العبكل. وبقيادة إدارية وإشرافية من علي صالح البشر الرومي، وتم إنجاز فيلم مدته نصف ساعة، يؤكد في لقطاته ومضامينه على طبيعة الهوية التراثية البحرية للكويت، وقد استغرق العمل في هذا الفيلم قرابة أسبوعين. مايشير أن هذه الجهود قد انصبت على توثيق مرحلة مهمة من مراحل الكويت الآخذة بالتقدم والتطور، كونها شكلت جانباً مهماً من هويتها التاريخيّة وكذلك هويتها الثقافية والتراثية. والتي لا تزال حتى يومنا هذا محل اعتزاز كل الأجيال. لأن خصوصية الهوية من الأمور التي تمس شغاف قلوب كل الكويتيين فالإنسان لا يستطيع أن ينسلخ عن جلده. فالفن لا بد أن يكون مسخراً لخدمة الوطن.

الهوية في مرحلة جديدة

في المرحلة اللاحقة التي تزامنت مع الاستقلال، وظهور مجتمع ما بعد النفط، في مطلع ستينات القرن العشرين، والذي صاحبها متغيرات اجتماعية وأخرى اقتصادية، اتجهت في عمومها نحو تحديث المجتمع، وانطلاقة عصر النهضة الثقافية والتعليمية والعمرانية أخذت السينما الكويتية - كنشاط ثقافي وفني - بالاتساع التدريجي على يد مجموعة من الشباب، الذين اتجهوا لدراسة الفنون ومنها السينما في الكليات والمعاهد والجامعات. حيث تمّ إنجاز عدد من الأفلام التسجيلية والروائية القصيرة، والروائية المتوسطة. أكدت جميعها على مسألة الهوية الكويتية، سواء من خلال النظرة الموضوعية للهوية الاجتماعية، التي تقوم على تنافس الأجيال، وبروز الطبقية في ظل متغيرات اقتصادية واجتماعية جديدة. وهو ما جسده محمد السنعوسي في فيلم (العاصفة) في العام 1964. الذي يعد أول فيلم روائي قصير في الكويت.

في هذا الفيلم تبدو النظرة حول الهوية الاجتماعية هدفاً أساسياً لتقديم سينما جديدة، من جيل جديد يريد التعبير عن هويته الثقافية والاجتماعية بأسلوبه الخاص. ففكرة الفيلم حسب رأي الناقد السينمائي عماد النويري «تجسد هلع الجيل الشاب آنذاك - ممثلاً في محمد السنعوسي - من المفارقة الحادة التي أثمرها تطور الكويت والمنطقة خلال ربع قرن، مفارقة بين عالمين وجيلين مختلفين».

وفي ذات الاتجاه قدمت فرقة المسرح الكويتي في العام 1968 فيلماً بعنوان (سارة) وهو لا يخرج في أحداثه ومضمونه عن الهوية الاجتماعية في إطار المتغيرات الجديدة في الكويت، مع مجتمع ما بعد النفط. وهي القضية الرئيسة التي كانت سائدة في الكتابات المسرحية والبرامج التليفزيونية في تلك المرحلة. والفيلم من بطولة محمد المنيع وحسين الحداد، وسائر أعضاء فرقة المسرح الكويتي. وكان من الطبيعي أن يتأثر هذا الفيلم في أفكاره بروح الأطروحات المسرحية في هذه المرحلة التي كانت تناقش مسألة الهوية الاجتماعية بين جيلين، وبين طبقتين في المجتمع الكويتي.

يعتبر فيلم (سارة) (50) دقيقة، من الأفلام الروائية متوسطة الطول. وهو يشكل تمهيداً لظهور الفيلم الروائي الطويل في الكويت. كما يشكل دعماً لأفلام الهوية الاجتماعية في المرحلة الجديدة.

كانت الأفلام التسجيلية في هذه المرحلة والتي تمّ إنجازها خلال مرحلة الستينات، ترفع لافتة هوية الكويت الثقافية والتعليمية والعمرانية، التي بدأت تترسمها في مشروع التحديث نتيجة عوائد الثروة النفطية.

فيلم «العاصفة» عام 1964

الجيل الجديد من السينمائيين الكويتيين ركز على إبراز الهوية الاجتماعية للكويت لإبراز الصراع بين جيلين

بس يا بحر والهوية الكويتية

مع مطلع السبعينات بدأت السينما الكويتية تعلن عن ميلاد أكثر من اسم كويتي في مجال السينما التسجيلية، والسينما الروائية، كما تمّ التأكيد على بصمات أسماء قدمت محاولاتها الأولى في الستينات، وتمّ اختبار أدواتها وميولها السينمائي. فيما يبشر بأننا على أعتاب مرحلة سينمائية كويتية بروح جديدة. لن تكون الهوية الكويتية في معزل عن نتاجاتها السينمائية، مهما كان المستوى الفني للأفلام التي يقدمها، عبدالرحمن المسلم، عبدالله المحيلان، عبدالوهاب السلطان، عامر الزهير، عبد المحسن الخلفان. نجم عبدالكريم، عبدالمحسن حياة، توفيق الأمير، نادرة السلطان، حبيب حسين. ولا يفوتنا هنا أن نذكر رائد التصوير السينمائي محمد قبازرد. وغير ذلك من الأسماء السينمائية التي قدمت جهوداً مهمة في سبيل تشكيل واقع سينمائي كويتي على أساس استلهام الهوية الكويتية، وإبرازها كمحور مهم في السينما.

ومن أبرز الأسماء السينمائية في هذا الجيل الفنان خالد الصديق الذي منح السينما الروائية الكويتية هويتها الخاصة في أول فيلم كويتي روائي طويل وهو فيلم «بس يا بحر» في العام 1971، والذي حظي بشهرة واسعة في الأوساط السينمائية العربية والعالمية، كان من نتيجتها حصوله على تسع جوائز عالمية من مهرجانات مختلفة. كما حظي هذا الفيلم باهتمام النقاد السينمائيين وكُتّاب الصحافة. وقد اعتبره مؤرخو السينما أنه أول فيلم روائي طويل في سجل السينما الكويتية. كما أنه وضع الكويت على سلم جوائز المهرجانات السينمائية العالمية، عبر التأكيد على وجود سينما كويتية لها خصوصيتها المستلهمة من هويتها.

لقد عمد هذا الفيلم إلى إبراز الهوية البيئية للكويت المتمثلة في طبيعتها البحرية الساحرة، كما أبرز هويتها التراثية والتاريخية والاجتماعية من خلال التعامل مع المكان. فكان بمثابة رسالة إعلامية مصورة لمعرفة الكويت وكفاح رجال الكويت في الماضي من أجل بناء وطن اسمه الكويت له عاداته وتقاليده وهويته الوطنية والعربية والإسلامية، والاجتماعية.

السينمائيون المعاصرون والهوية

لا يستطيع هذا المقال أن يلم بكل الأسماء السينمائية الكويتية، عبر هذا التاريخ الطويل الذي يتجاوز اليوم نصف قرن من الزمان. ولا يستطيع أن يلم بكل الأفلام التي تمّ تقديمها خلال هذه المسيرة الطويلة. لذلك أرى أن نخصص مقالة خاصة حول الهوية الكويتية في أفلام السينمائيين الكويتيين المعاصرين. الذين ظهروا في مرحلة الثمانينات وما بعدها.

عبقرية الإنسان في لغته

مصطفى سليمان

﴿وعلّم آدمَ الأسماء كلّها﴾ (سورة البقرة: 13). في البدء كانت الكلمة و«الكلمة» هنا لها تفسيرات فلسفية وكهنوتية ولاهوتية عديدة. ويهمنا هنا اشتقاقها من اليونانية بمعنى اللوغوس أي اللغة والعقل - فلا لغة خارج العقل- الفكر، والنطق. وبمعنى آخر: العقل المفكر الناطق. وللغة اليوم بحوث شتى من حيث علاقتها بهويّة الفرد والأمة وانتقالها عبر تاريخ الحضارات إلى رحاب السيطرة العالمية على شعوب معينة مدى قرون . وبهذا تمّحي لغات، وتنشأ أخرى أو تبيدها ! فما موقع لغتنا اليوم في هذا الصراع اللغوي الراهن، والمستقبلي ؟

إن دراسة اللغات من أصعب دراسات العلوم الإنسانية. فاللغة ظاهرة مُركّبة الأبعاد؛ فهي فلسفة وفن وعقل وفكر وعلم. وهي معقّدة الأسباب بدءاً من دراسة أسباب نشوئها، حتى تطورها المذهل مع تطور العقل البشري ومنجزاته في مختلف الميادين .

أمّا كونها فلسفة؛ فهناك الفلسفة اللغوية، أو فلسفة اللغة، والتأمّل الفلسفي، أو الفلسفة التأملية. تأملوا ذلك الكائن المدعو إنساناً، وهو في كهوفه وأدغاله وغاباته، يراقب ثم يتأمل ما حوله من حيوانات وطيور تعبّر بالحركات والأصوات عن خوفها وفرحها، ورغباتها في مواسم تزاوجها، وهجرتها ... فيسمع الإنسان ما حوله من حفيف أوراق الشجر، وفحيح الأفاعي، وعواء الذئاب، ونباح الكلاب، وخرير مياه الأنهار، وقصف الرعود، وعصف الرياح ... فيحاكي تلك الأصوات معبراً عما في نفسه، وناقلاً لمن حوله مشاعرَه ورغباته، وهواجسه ومخاوفه... فنعرف بالتأمل الفلسفي، والمقارنة اللغوية، كيف نشأت بواكير اللغة البشرية عبر نظرية المحاكاة الطبيعية. وفي كل معاجم اللغات البشرية (مستحاثات لغوية) توحي بالنشأة الأولى للكلمات ذات الإيحاء الصوتي المحاكي للطبيعة، بما فيها من ظواهر طبيعية، وكائنات نباتية أو حيوانية. فاللغة هنا ظاهرة صوتية. صوت ينطق بالمعاني عبر عقل واع مدرك لِما ينطق به لسانه .

وأما كونها فناً؛ فنرى ذلك في الرسوم البدائية التي ضرّج بها الإنسان في العصور الحجرية جدران الكهوف بألوانه، بل بأصباغه السحرية التي ماتزال إلى اليوم تحكي عما في نفسه وخياله ووجدانه من تصورات ومفاهيم وأحاسيس، كرسوم الحيوانات التي استخدمها مثلاً الحصان، والتي اصطادها، كالغزلان، والتي أرعبته كالماموث... وصراعه مع تلك الحيوانات من أجل البقاء. فكانت رسومه الجدارية الكهفية البدائية قصائد صامتة أراد التعبير من خلالها عن كونه إنساناً له مشاعر وأفكار، ورؤى وأخيلة يريد تسجيلها. و ما صنعه من تماثيل حجرية بدائية لرأس زوجته، أو زعيم قبيلته، أو كاهنها، أو ربها المعبود...ما هي إلا فنون حملت أحاسيسه الجمالية البدائية معلنةً للطبيعة وما فيها: أنا الإنسان اللغوي البدائي الوحيد فيك أيتها الطبيعة أراقب وأسمع، وأحسّ، وأحلم، وأشعر، وأرسم،... وأنطق، لا بالصوت الأصم الأجوف من المعنى المجسّد لغةً منطوقةً، بل بالمعاني والمفاهيم التي (سأكتبها) لغة تصويرية، ثم أبجدية رامزة لعبقريتي.

يرى (تشومسكي) أن «اللغة البشرية تقوم على خاصية أولية تبدو أيضا معزولة بيولوجيًا : إنها خاصية اللامحدودية أو اللانهائية المتفردة،... هذه الخاصية أسَرت اهتمام (غاليليو) الذي اعتبر أن اكتشاف وسيلة لتوصيل أفكارنا الأكثر سرية إلى أي شخص آخر بعدد قليل قدْرُه أربعة وعشرون حرفاً أعظم الاختراعات البشرية قاطبة».

تلك الأبجدية التي نقشها الإنسان على الرقيم الطيني (الأبجدية الأوغاريتية، المكتشف رقيمُها في أوغاريت الفينيقية، شمال اللاذقية السورية، والمحفوظ في متحف دمشق، وهي أكمل وأقدم أبجدية عالمية حتى اليوم)، أو التي خطّها بقلم من القصب على ورق البردي زمن الفراعنة، أو نحتها بإزميل فنان نحات في الصخر، وعلى أعمدة المعابد والهياكل والقصور والمدافن ... هكذا كان المسمار والقصب: قلم القدماء.

وما أروع تلك الآيات القرآنية المجيدة : ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد...﴾ إلى آخر الآية 36 من سورة الإسراء!، و ﴿ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين ...﴾ ؟ تلك هي أركان الإدراك اللغوي. فلا لغة بلا سمع، وبلا بصر، وبلا نفس عاقلة مدركة (فؤاد) وقلم، ولسان وشفتين. بل إن اللسان هو اللغة ذاتها. فمعجم (لسان العرب) يعني معجم لغة العرب. وكذلك كلمة شفة هي اللغة. وبنت الشفة أو ذات الشفة هي الكلمة، والجزء يُطلق على الكل. وهنا أقتبس من الدكتور نايف خرما ما له علاقة بهذه النقطة: «إن للسلوك اللغوي علاقات عديدة بالخصائص المُورفولوجية (التشكيلية) والوظيفة لجسم الإنسان منها العلاقة بين اللغة وتركيب جهازَي السمع والنطق،ومنها العلاقة بينها وبين الدماغ والتخصصات التي اكتُشفت في أجزائه المختلفة، وبينها وبين بعض مراكز التنسيق بين الحركات العضلية الخاصة بالنطق، وخاصية السيطرة على التنفس؛ ليتمكن الإنسان من مواصلة الكلام فترة طويلة، وخصائص أخرى تتعلق بالحس والإدراك اللازمة للإدراك اللغوي».

وأما كونها فكراً وعقلاً؛ فالفكر هو اللغة. والفكر والتفكير نشاط عقلي. والفكر اللغوي العقلاني والمنطقي قام على البحث في تاريخ اللغة، من حيث النشوء والارتقاء وتطور الدلالات والمفاهيم، وأصول نحوها وصرفها وإملائها واشتقاقاتها وبلاغتها... وهي المعروفة في اللغة الأجنبية

بالفيلولوجيا، وعربياً بفقه اللغة، ثم انتشر مصطلح اللسانيات .

ويبرز هنا اللغوي العالمي الأشهر في هذا المجال : نعوم تشومسكي، الأمريكي المناهض للسياسة الأمريكية الإمبراطورية، واليهودي غير الصهيوني، والمؤيد للقضية العربية، والمعادي للحركة الصهيونية، والممنوع من دخول الأراضي المحتلة. وله دراسات شامخة في علم اللغة والألسنيات الحديثة، والفلسفة، وعلم النفس. ولا يوجد لغوي عربي أو عالمي لا يرجع إليه في الدراسات اللغوية المعمّقة.

يربط تشومسكي بين «ملكة اللغة» التي هي خاصية بشرية فردانية جوّانية وبين العضوية الفيزيولوجية للإنسان، فملكة اللغة هي «عضوُ لغة» بالمعنى الذي يتحدث به العلماء عن الجهاز البصري، أو جهاز المناعة، أو جهاز الدوران، كأعضاء من الجسم. لكن «عضو اللغة» هو عضو لا يمكن إزالته من الجسم وترك بقية أعضاء الجسم سليمة. وجهاز اكتساب اللغة عند الطفل شبيه بنمو الأعضاء عموماً، إنه شيء ما يحدث للطفل، وليس الطفل هو الذي يقوم به.

واللغة البشرية عند تشومسكي نتيجة لتفاعل عاملين: الحالة البدئية وسيرورة الخبرة. ويعرف الحالة البدئية بأنها جهاز اكتساب اللغة الذي يأخذ الخبرة كـ « مُدْخَل» i-put ويعطي اللغة كـ «مُخرَج» output، يتم تمثله داخلياً في العقل/ الدماغ. ويقرر أن الحالة

البدئية بمعنى (جهاز اكتساب اللغة) هي مشتركة بين النوع (البشري): «فلو كبر أطفالي في طوكيو لتكلموا اليابانية مثل الأطفال الآخرين هناك». ويطرح تساؤلاً مدهشاً ومثيراً حول بيولوجيا اللغة، بمعنى أن هناك – بين البشر – جينات أو مُوَرّثات تؤثر في الحالة البدئية أي جهاز اكتساب اللغة البشرية، ونشاطات الدماغ المشمولة في الحالة البدئية والحالات اللاحقة التي تتخذها. ويقرر أنها مسائل بالغة الصعوبة. لكنه يفتح لهذه المسائل آفاق المستقبل.

أما اللغة كتجريب علمي؛ فإخضاعها إلى مناهج التجربة المخبرية كأي ظاهرة طبيعية من حيث دراسة أصواتها، وتشريح الجهاز الصوتي البشري إلكترونياً للتعرف على نوع الذبذبات الصوتية موسيقياً، وشدتها ورخاوتها وإيحاءاتها... ولا يقتصر ذلك على اللغة البشرية بل أيضاً على لغة الطيور والحيوانات، وبخاصة الدلفين، حيث وضع علماء اللغة المخبريون معجماً دلفينياً لتطبيقه على التفاهم مع هذه الكائنات؛ وفق نظرية الفعل المنعكس الشرطي الشهيرة للعالم الروسي بافلوف .

فللحيوان والطير لغة غريزية، ظاهرة صوتية ثابتة، وفق ترتيب صوتي لمعجم موحّد، لكنها لغة خارج العقل المفكر، المبدع، المطوّر لبنية اللغة، ومفرداتها ودلالاتها ومنظومة نحوها وصرفها... والأعظم : (قراءتُها وتعلّمها وتعليمُها)، فلا حيوان يعلّم حيواناً آخر لغته أو يُقرئه إياها. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة عن هذا البعد التعليمي للغة الإنسانية؛ ففي سورة باسم القلم، وقد ذُكر في أول آياتها مع الكتابة : ﴿نون والقلم وما يسطرون﴾. وكذلك القراءة والتعليم: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم ... ﴾ (سورة العلق من 1 – 4) .

واللغة البشرية لا يمكن تعليمها لجنس غير بشري، بمنظومتها اللغوية والنحوية والدلالية المعقدة، رغم بعض التجارب التي يجريها علماء اللغة والحيوان على أنواع من القردة وفق النظم الصوتية.

فلغة الحيوان والطير استجابة انعكاسية غريزية؛ فالدلفين الذي يعيش في المحيط الأطلسي يستجيب (للّغة الصوتية الغريزية) للدلافين التي يصادفها وهي تعيش في محيط آخر. فلغة الكائنات غير الإنسانية لغة استجابية غريزية بين أفراد من جنس معين من هذه الكائنات مهما تبدّلتْ بيئاتها الطبيعية أو الجغرافية فهي (لغة عالمية) وهنا يمكننا أن نستنتج- مجازياً – أن هذه الكائنات،غير البشرية،عرفت لغة العولمة، أو اللغة العالمية، قبل أن تعرفها الإنسانية أما الإنسان الألماني مثلاً فلا يفهم لغة العقل الناطق المفكر للإنسان الصيني أو العربي ولو كانوا في بيئة اجتماعية واحدة، أو متباعدة .

وهنا يأتي الدور الحضاري العبقري للترجمة والمترجمين عبر تاريخ الحضارات الإنسانية. فلولا فن الترجمة لبقيت الحضارات البشرية دوائر مغلقة ومنغلقة على ذاتها، ولما تطورت العلوم بكل أنواعها. فالترجمة، عبر أشكال متنوعة من التواصل البشري التجاري والاقتصادي والسياسي..، نشرت الثقافات الإنسانية، وعمّقت الوعي البشري ووجدانهم عبر انتشار الأديان، ونقلت الخبرات والنظريات والاكتشافات العلمية،والمنجزات الطبية، والنظريات الفلسفية، والمدارس الفنية، والمذاهب الأدبية.. وأدخلت الإنسانية في مرحلة تنويرية لا مثيل لها إلى جانب تطوير اللغات نفسها من

خلال وضع المعاجم؛ أحادية أو ثنائية بل حتى ثلاثية اللغات، وتطوير أساليبها التعبيرية، ونحت واشتقاق مصطلحات لم تكن فيها، فاغتنت ثروتها اللغوية .

وتؤدي الترجمة اليوم – كما كانت قديماً – دوراً بالغ الأهمية في حوار الحضارات، وتقريب الشعوب إلى بعضها بعضاً، في ظل النزعة العالمية، وترسيخ مفهوم العولمة، والتعرف على ملامح هويات الشعوب من خلال ترجمة معارفها وثقافاتها في جميع الميادين .

وهنا نأتي إلى قضية اللغة العالمية. كيف تسود لغةٌ ما قروناً، وتصبح لغةَ العلم والأدب والحياة؟ ثم لماذا تندثر؟ وكيف تصبح ذكرى في سجل التاريخ اللغوي للحضارات؟ وأين لغتنا من كل هذا، في عصر سيادة اللغة الإنجليزية؟

يرى (سكوت مونتغمري) في كتابه: هل يحتاج العلم إلى لغة عالمية؟ أن اللغة الإنجليزية اليوم، مجازاً، ترتكب إبادة عولمية بسيطرتها على لغة التقنية والعلوم بكل فروعها. لكنه يطرح قضية مثيرة وهي تفتُّت اللغة الإنجليزية العالمية بحيث توجد (لغات إنجليزية) تتكيّف مع محيطها الإقليمي. فهناك اللغة الإنجليزية الأمريكية والصينية والجنوب أفريقية والهندية ... ويمكن للمتتبّع، عبر اختيارات نوع اللغة الإنجليزية في قائمة اللغات في شبكة الإنترنت، أن يقف على لائحة طويلة وغريبة من التكاثر اللغوي الإنجليزي.

وفي استعراضه للتاريخ العلمي للغة العربية، وموقفه من حاضرها اليوم.، يرى أن العربية كانت لغة غزو – لهجة عسكرية– أبادت عبر قرون لغات قومية محلية. لكنها: «سيطرت على العلوم بشكلها الأكثر تقدماً بحيث يمكن تسميتها لغة عالمية حقيقية للعلم، وقد استعمل العربيةَ من القرن التاسع حتى الحادي عشر نسبةٌ من الناشطين في العلوم أعلى ربما حتى من الإنجليزية عام 2013».

ويربط بين موت اللاتينية التي سادت في أوروبا عبر قرون، و(موت) العربية الفصحى كلغة محكية ؛ فقد كتب (غاليليو) علومه بلهجته المحلية الإيطالية، ولافوازييه وباستور بالفرنسية ودانتي بلهجة مدينته فلورنسا ... وهكذا ماتت اللاتينية كلغة حياة وثقافة وعلم، وصارت لغة كنسية طقوسية جنائزية.

والعربية الكلاسيكية –برأيه– أزالت لغات أخرى، كالسريانية واليونانية، وغيرها، كونها لغة غزو وتأثير سياسي وعسكري واقتصادي وثقافي (ونسي البعد الديني الأهم). ويرى أيضاً: «أن الذي دمرها توسُّعُها المتسامح بصفنها لغة محكية في كامل العالم الإسلامي، بينما جعلها هذا التوسُّع لغة هائلة للمعرفة المكتوبة عبر منطقة شاسعة. وتوصلت أعمال مترجميها ومؤلفيها لملء المكتبات الكبيرة التي جمعت من بغداد وطليطلة، وهي أماكن يفصل بينها أكثر من ألفي ميل والكثير من الثقافات السابقة».

وواقع الإنجليزية اليوم، في تجزُّئها إلى لغات إقليمية ووطنية محلية «استناداً إلى النموذج العربي» – كما يقول– ينذر بنشوء لغة علمية عالمية، غير الإنجليزية السائدة اليوم. لكنها تبقى (إنجليزية). «فهي الآن اللغة العالمية الحقيقية الأولى للإنسانية... ولهذا لا ينفصل مستقبل العلم عن اللغة الإنجليزية». لأن تاريخ العلم هو تاريخ اللغات .

هذا يجعلنا نطرح السؤال التالي: هل تصبح اللغة العربية لغة عالمية؟ وكيف؟ «لأن اللغة قوة في دنيا معولَمة» بحسب مونتغمري. وهل تكفي احتفالية (اليوم العالمي للغة العربية) كما قررته الأمم المتحدة – منظمة اليونسكو، في 21 ديسمبر من كل عام، لولوج العربية إلى رحاب العالمية؟ سؤال كبير وجوابه أكبر.! فأين نحن من الإسهام في العلوم العالمية؟ نعم، نحن ننشر الثقافة العلمية في مدارسنا وجامعاتنا، لكن: العلم ليس نشر المعرفة فحسب بل الإسهام فيها.

في خيارات اللغة العربية عبر الإنترنت أنت مخيّر بين العربية السورية أو السعودية أو الأردنية أو المغربية إلخ. وهكذا يريدون تفتيت الفصحى إلى لغات. وعندما تختار أيّ (لهجة – كلغة) فإنك ستصادف الفصحى التي يعرفها كل طفل عربي في أول مراحله التعليمية بالبلاد العربية كلها .

سيادة الفصحى مسيطرة في التعليم. لكن لغة العلم، في الكتب المدرسية العربية، تأخذ مصطلحاً محلياً أحياناً، وهي مسيطرة في الصحف، والمجلات الثقافية والعلمية والفنية والمؤتمرات الدولية وعبر مكاتب الأمم المتحدة في العالم، باعتبارها لغة معتمَدة فيها ...

إلا أن الخطر الداهم يأتي من لغة مواقع التواصل الاجتماعي. فاللهجة (الفيسبوكية والتويترية والواتسأبيّة..)، كذلك لهجات الدلع التلفزي، والميوعة الإذاعية، وإعادة تنشيط الدعوات إلى اعتماد اللهجات المحكية لغةَ تعليم وصحافة ... كل ذلك يقرع أجراس الخطر اللغوي. فهل تبيد العولمةُ لغتنا، وتفتّتها لتصبح لغاتٍ كانت لهجات، كاللاتينية ؟

كان في عمر الستين حين قطع الفيافي وقتل «كبولاني»

الموريتاني «ولد الزين».. سيف قهر البندقية

عبد الكريم المقداد

لم يسع يوما وراء مكسب دنيوي أو مادي، ولم ينشد سمعة أو جاهاً، كان فقيها صوفيا ووليا زاهدا في الدنيا وملذاتها، لكنه لم يطق، وهو في الستين من عمره، أن يحتل الأوروبيون بلاده المسلمة موريتانيا، ويعيثون فيها فسادا، ولم يرض أن يكون صاحب موقف هامشي وهو الفارس والمقاتل الذي خبر الحروب وخاضها، وهو على معرفة تامة بثقافة الفروسية التي كانت سائدة في عصره.

ذلك هو المجاهد الموريتاني الشهيد «سيدي ولد مولاي الزين»، الذي ما أن تناهت إليه الفظاعات التي كان يرتكبها مهندس التوغل الفرنسي في موريتانيا القائد « كزافييه كبولاني» بحق الموريتانيين، وماشيتهم التي كانت المورد شبه الوحيد لغذائهم، حتى ترك عيشه الهانئ، وأعلن الجهاد، وأضمر أن يكون هدفه رأس «كبولاني».

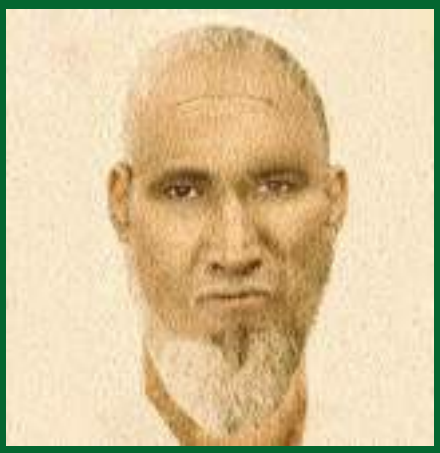
الشهيد سيدي ولد مولاي الزين (صورة تقريبية)

ففي شهر مايو من عام 1905، ومن بلدة «امحيرب» في جبل المرابطين، في ولاية «أدرار»، بدأ الشيخ الذي تجاوز الستين من العمر، بجمع أكبر قدر ممكن من المجاهدين المتطوعين، وكان التحدي الأكبر أمامه قدرته على تسويق فكرة الجهاد، في مجتمع يعيش حالة من الفوضى السياسية ويطبعه تعدد الولاءات، وقد لقي صدودا في الأيام الأولى، لأن قلة فقط هي التي استشعرت حجم الخطر البعيد، لذلك لجأ إلى الشيخ محمد محمود الذي كان من المناوئين للاستعمار، فما كان من هذا إلا أن حثه على المضي قدما إلى هدفه، وزوده بعدد من المجاهدين، وأهداه سيفا، وأخبره بأنه الأداة التي سيقطع بها رأس الثعبان!

تحديات

لقد أدرك ولد الزين منذ البداية الصعوبات التي قد تعترض خطته والتحديات التي تتهددها، فقد كان عليه أن يتسلل بمجموعته عبر ممر صحراوي غير سالك، يمتد لأكثر من ثلاثمائة وعشرين كيلومترا، في سباق مع الزمن واستخبارات العدو، لذلك لم يخبر رفاقه في الجهاد في البداية عن وجهته الحقة، لكنه أكد لهم أنهم سيبدؤون قريبا رحلة إلى الجنة.

للوصول إلى هدفه اجتاز ورفاقه ممرا صحراويا غير سالك يمتد لأكثر من 320 كم

ولما كان عليه جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن العدو، انتقى مجموعة مختارة من المجاهدين، انطلقت إلى مدينة «تجكجة»، حيث المعسكر الذي يقوده «كبولاني»، قبل بدء عملية التسلل بثلاثة أسابيع، لكن مجاهديه لم يعودوا خلال هذه الفترة بالمعلومات المطلوبة عن العدو، فآثر بدء المسير خوفا من إمكانية تسرب الأخبار عن تحركاته وأهدافه.

كان زاد المجاهدين خلال رحلتهم الصحراوية تلك التمر والماء والنبق واللحم المجفف، و كان لديهم ثلاثة جمال فقط، لكن سرعان ما ذهبت عنهم

معبرة تجكجة

مشاق الرحلة عندما ظهرت لهم مفاجأة سارة في منتصف الطريق، فقد ظهرت فجأة مجموعة الاستطلاع بعد أن كانت قد تاهت في الصحراء، كانت مؤلفة من أربعة فقط، أما الخامس وهو «سيدي ولد بوبيط » فقد وقع في قبضة كبولاني.

أعاد ولد الزين جمع خيوط العملية وتقييم عناصر الخطة على ضوء المعلومات التعبوية الجديدة، لكنه كان بحاجة إلى من يمده بمعلومات عما يجري في الداخل، عن خطة الفرنسيين للدفاع عن الثكنة، نظام حراستهم،عددهم وعدتهم، عن كلمة السر، عن حلفائهم، من يحق له دخول الثكنة من ساكني المدينة، ومن يحظر عليه دخولها، ومتى يتم ذلك وكيف، وما المجموعات التي قد تشكل سندا محتملا للمجاهدين، ومن هم المحايدون، وكيف يتم التنفيذ وتوزيع المهام والتنسيق أثناء العملية، وما هو أسلوب الانسحاب الأمثل بعد تنفيذ المهمة؟

كبولاني مع عدد من وجهاء موريتانيا

لكن التساؤل الملح، الذي أرقه هو احتمال علم العدو بنبأ الإغارة، خاصة في ظل إمكانية انتزاع معلومات من هذا النوع من «بوبيط»، الموجود بين أيديهم ، لكن صدفة سعيدة أخرى أبطلت مخاوفه، إذ ظهر فجأة سيدي ولد بوبيط في منطقة «كلمسي» الواقعة على بعد 20 كيلو من «تجكجه»،

بعد أن أفرج عنه كبولاني نزولا عند نصيحة أحد المترجمين بعدم تلويث سمعة فرنسا أكثر جراء المعاملة اللا إنسانية التي كان يتلقاها المجاهدون في السجن، ولحسن الحظ كان « ولد بوبيط» على علم كامل بكل صغيرة وكبيرة من أمور العدو، فقد خبر المكان جيدا، حيث كان محتجزا عند مدخل القلعة.

قدم «ولد بوبيط» عرضا مفصلا، شمل كل المعلومات المتعلقة بالأفراد والمكان، وعرف منه المجاهدون كل ما ينبغي أن يعرفوه، ومن المستحيل تكتيكيا اقتحام الثكنة نهارا، فقد كان عدد الجنود كبيرا، إضافة إلى إجراءات الأمان التي اتخذها كبولاني مؤخرا، حيث كان قد عمد إلى قطع الأشجار والنخيل الموجود في المحيط القريب من الثكنة، والذي قد يشكل سواتر لأي عملية تقرب أو تسلل محتملة، وقد صاحبت هذه الإجراءات تعليمات دائمة، تقضي بإطلاق النار على أي شخص غريب يحاول الاقتراب أو اجتياز البطحاء في اتجاه القلعة.

إثر ذلك، استقر رأي المجاهدين على الهجوم ليلا، مساء الثاني عشر من مايو 1905 عند صلاة العشاء، والتسلل مع الرعاة الذين يحملون اللبن كل ليلة إلى القلعة، ودعا ولد الزين رفاقه إلى اجتماع أخير وعاجل،

لم يخبر رفاقه في البداية عن وجهته الحقة لكنه أكد لهم أنهم سيبدؤون قريبا رحلة إلى الجنة

بلدة امحيرب التي انطلق منها المجاهدون

مبنى يعود للاستعمار الفرنسي

وأفصح لهم للمرة الأولى عن نيته الحقة، وأنه مقبل على قتل كبولاني، وبدأ في وضع عناصر الخطة، حيث حدد موقع «كلمسي» كنقطة للتجمع بعد تنفيذ العملية، وأخبرهم أن إشارة الانسحاب هي أن يصيح من يقتل كبولاني، أو يعلم بمقتله، بأعلى صوته: «مات كبولاني... مات كبولاني»، وكان على من سينجو، بعد تحقيق الهدف، أن ينسحب فورا وينتظر طلوع الشمس، ثم ينطلق إلى «كلمسي».

وصل ولد الزين ورفاقه، صحبة دليلهم إلى واحة نخيل قبالة القلعة، قريبة من المراح الذي تجتمع فيه عادة غنم أهل «تجكجة» كل ليلة، لتوفير الحليب لعناصر الحامية، وكان المجاهدون ينتظرون إشارة التنفيذ التي سوف يعطيها العدو، وهي صافرة تطلقها الحامية إيذانا للرعاة والعمال بدخول القلعة، لجلب اللبن والطعام.

رأس الثعبان

وما إن انطلق صوت الصافرة في الساعة التاسعة وخمس وعشرين دقيقة، من مساء الثاني عشر من مايو 1905، حتى اختلط المجاهدون بالرعاة والعمال، وكان سيدي ولد الزين في المقدمة شاهرا سيفه، وإلى جانبه ابنه «عبد الرحمن القاسم الملقب اللّلّ»، وعندما استشعر الحارس الذي يراقب المدخل الرئيسي حركة غير عادية، حاول الفرار، لكن

واجه في البداية صعوبة كبيرة في تسويق فكرة الجهاد لأن قلة فقط استشعرت حجم الخطر البعيد

اصطحب ابنه فكان إلى جانبه يتقدمان المجاهدين في ساحة المعركة حتى أغمد سيفه في صدر كبولاني

أهداه الشيخ محمد محمود سيفا وأخبره بأنه الأداة التي سيقطع بها رأس الثعبان!

كزافييه كبولاني

مدفن كبولاني وسط مدينة تجكجه

سرعان ما عاجله المجاهدون وقضوا عليه باستخدام سلاح أبيض، بدل البندقية دون أن يثير ذلك انتباه عناصر الحامية الآخرين ولا حتى الرعاة أو العمال.

ولج ولد الزين عبر المدخل الرئيسي يتبعه ابنه وثلاثة مجاهدين، وحين وصلوا إلى المقر المطلوب، وجدوا كبولاني يخطو على الأرضية الأمامية لمقر إقامته، فصاح ولد الزين: «اللّه أكبر»... «اللّه أكبر»، وانقض بسيفه على سيد قلعة تجكجة، ليستقر النّصل في صدره، ثم عاجله أحد المجاهدين بطلقة مباشرة، أصابته في البطن، وما كاد يجر نفسه إلى إحدى الغرف القريبة، حتى اتبعه المجاهدون بوابل من الرصاص .

في تلك الأثناء، ظهر الملازم أول الفرنسي «تيوفانيه»، وعاجل المجاهد سيدي ولد مولاي الزين بطلقة من مسدسه، قبل أن يرد عليه ولد الزين بضربة أصابته في الرأس، في مبارزة غير متكافئة بين السيف والمسدس، سقط على إثرها المتبارزان جريحين، وقد كانت إصابة ولد الزين مباشرة وعن قرب، لكنها لم تكن قاتلة، لولا أن تسابق عدد من الجنود إلى الإجهاز عليه بالحراب، ليستشهد بعد أن قطع «رأس الثعبان»، وحقق أمنيته.

نابليون زيرفاس

بطل المقاومة اليونانية

تضرب جذور اليونان عميقا في التاريخ ، فهي مهد إحدى أبرز الحضارات وعلى أرضها تجسدت أحداث وملاحم إنسانية كبرى . ولكن اليونان في الزمن الحديث كانت مسرحا لمعاناة أشد وقعا ومصائب أكثر هولا ، لعل أكبرها تأثيرا ليست الأزمة المالية التي دفعتها لأن تكون أول دولة في العالم تشهر إفلاسها بل في كونها ميدانا دمويا للصراع إبان الحرب العالمية الثانية . فاليونان اجتاحتها القوات الألمانية بعد أن أخفق الإيطاليون في السيطرة عليها ، حيث تمكن الألمان من احتلال العاصمة أثينا ومن بعدها جزيرة كريت ودحر قوات الحلفاء التي كانت مرابطة فيها .

زيرفاس مع قادة عسكريين

اصلاح المؤسسة العسكرية من الداخل

يعشق الخصال العسكرية

وكما هو شأن الحروب التي تسبب المحن والكرب فإن الأبطال التاريخيين يظهرون جنبا إلى جنب معها، ومن بين هؤلاء نابليون زيرفاس قائد المقاومة اليونانية ضد دول المحور، ألمانيا وإيطاليا. فحياته تطوي في داخلها سيرة الرجال الاستثنائيين في مكابدتهم للمصاعب وجلدهم على تحمل الانتكاسات ورؤيتهم التي لا تتحول عن أهداف رسموها لحياتهم. وزيرفاس ولد في مايو العام 1891 في مدينة أرتا اليونانية، وأبدى في طفولته عشقا للخصال العسكرية التي تتجلى في الصرامة والنظام والانضباط، وكان كما ينقل عنه بعض معاصريه من الكتاب محبا لمبدأ التضحية من أجل هدف نبيل وسام. وفي صباه تدرج في الدراسة حتى نهاية المرحلة الثانوية العام 1910، وقد أبصر أمامه الوقت مواتيا لتحقيق حلمه في الانخراط بالسلك العسكري .

ولم يكن الطريق ممهدا أمامه حيث كان عليه في البداية التطوع في مدرسة المشاة التي تؤهله للانضمام إلى الجيش الهيليني، وتلك الفترة كانت عصيبة وتضج بالتحديات لأن حروب البلقان كانت في أوجها واليونان غارقة فيها. غير أنه شق طريقه بثبات في حياة الجندية فترقى إلى مرتبة عريف أول ولم تمض أربعة أعوام حتى حاز على رتبة مقدم في الجيش الهيليني .

وفي تلك الفترة لم يكن

بعيدا عن السياسة فقد جذبته شؤونها وشجونها منذ زمن مبكر. وكان تفتح وعيه على الحركة الفينزيلية التي سميت بذلك نسبة إلى مؤسسها الفيريوس فينزيلوس وهو سياسي يوناني كان مناهضا للملكية والنظام الملكي ويجنح إلى الليبرالية الجمهورية كنظام سياسي أمثل، وقد خاض معركة شرسة ضد القوى المحافظة التي كانت في ذلك الوقت تناصر الملك والنظام الملكي.

وقد أصابت هذه الحركة هوى في نفسه فسارع إلى الانضمام إليها مع ما يحمله ذلك من محاذير تنشأ عن الجمع بين السياسة والعسكرية وهو مزيج سيؤثر بشكل كبير على حياته كلها .

وقد تمرس زيرفاس في العسكرية، ولبى نداء الوطن في الحرب العالمية الأولى حيث ذاع صيته في قتاله في جبهة مقدونيا وجرت ترقيته على بسالته وحنكته العسكرية التي كان ميدان الحرب مسرحا لها. ولكن عذوبة النجاح كانت تخالطها مرارة الفشل فقد خسر الحزب الليبرالي الفينزيلي معركة الانتخابات 1920 وتعرضت رموزه للاعتقال ومن بينهم زيرفاس الذي تمكن من الهرب إلى القسطنطينية حيث مكث فيها سنتين ولم يرجع إلى اليونان إلا بعد انقلاب كبير في المشهد السياسي اليوناني مع اندلاع ثورة كبرى في سبتمبر من العام 1922 عاد بعدها زيرفاس إلى وظيفته في الجيش .

للتضحيات رجالها

ولم يمض وقت طويل حتى عاد التوتر السياسي إلى اليونان مع تسلم النظام الديكتاتوري للجنرال ثيودور بنغالوس السلطة في العام 1925، وتقلد زيرفاس في ذلك الوقت منصب القائد العسكري لأثينا وقائد الفوج الثاني من الحرس الجمهوري المكلفة بحماية العاصمة وتأتمر بأوامر بنغالوس نفسه. ويبدو أنه لم يكن راضيا البتة عن طريقة بنغالوس الاستبدادية في إدارة شؤون البلد فانضم إلى الجنرال جورجيوس كونديلس في انقلابه على نظام بنغالوس، ولكنهما اصطدما بعنف بعد خلاف على أسلوب الحكم والوجه الديكتاتوري الفاقع للانقلاب حيث كان زيرفاس يسعى إلى تذويب النهج السلطوي والاستبدادي الذي وقعت اليونان فريسة له، ويمكن القول إن محاولته لحل قوات الحرس الجمهوري التي كانت شرارة صراعه مع كونديلس لم تكن سوى عملية إصلاح للمؤسسة العسكرية من الداخل .غير أن هذا الأمر لم يرق تماما للحاكم العسكري وكانت ضريبة الصراع بين القائدين ذات كلفة عالية وتذكر في اليونان على أنها مرحلة سوداء. فقد نشبت المعارك الدموية بين قوات الخصمين في العاصمة ونتج عنها دمار وخراب كبيران، وتعرضت قوات زيرفاس إلى هزيمة ساحقة ووقع في الأسر حيث جرت محاكمته وأنزلت به عقوبة السجن مدى الحياة.

بعد انهيار النظام العسكري وقيام نظام جمهوري جديد نظر إليه على أنه لا يستحق تلك العقوبة ولا بد من تثمين الدور الذي قام به في مناهضة نظام على الرغم من كونه أحد أعمدته، فصدر أمر جمهوري بالعفو عنه وتمت إحالته للتقاعد برتبة جنرال. ولكن الزمن لم يمهله ويتيح له استراحة محارب طويلة، حيث تمكنت دول المحور مع اندلاع الحرب العالمية الثانية من اجتياح اليونان في سبتمبر 1941. في ذلك الوقت قام زيرفاس وبعض العسكريين المنضوين تحت لواء الحركة الفينزيلية وحفنة من القادة السياسيين البارزين بتأسيس العصبة الجمهورية الوطنية اليونانية. ورفعت العصبة شعاراتها الثلاث المتمثلة في محاربة قوى الاحتلال وتقويض النظام الملكي وتأسيس نظام جمهوري ديمقراطي .

انطلقت العصبة في نشاطها من جبال الإيبروس، حيث تولى زيرفاس ومستشاره بيرماغلو تأسيس الجناح العسكري للعصبة اليونانية وربطها عسكريا بقيادة جيوش الحلفاء، وقد عدتها قيادة الحلفاء في الشرق الأوسط إحدى كتائبها القتالية، ولم يكن ذلك النجاح الأوحد لزيرفاس فقد تمكن من توحيد قوى الحركات اليونانية بضمه حركة المحافظين وأنصار الملكية إلى العصبة. وقد سجلت قواتها تحت قيادة زيرفاس نجاحات باهرة ارهقت قوات الاحتلال، حيث قامت بمعونة قوات بريطانية بتكبيد قوات

خيلاء المقاوم

ضريح البطل

الاحتلال خسائر كبيرة في معركة جسر جورجوباتاموس. وبقى نشاط العصبة مكثفا في منطقة جبال الإيروس ولكن الصراع مع أجنحة المقاومة الأخرى والذي عرف بالحرب الأهلية الصغيرة قلص من نفوذها وأرغمها في وقت لاحق على هجر مواقعها .

وما أن سكتت مدافع الحرب حتى انخرط زيرفاس في العمل السياسي فقام بتأسيس الحزب الوطني اليوناني، وانتخب في العام 1946 نائبا في البرلمان عن مقاطعة أيونيا، وحصل حزبه على نسبة جيدة من المقاعد مكنته من أن يكون عضوا في الحكومة. وسعى خصومه في تلك الفترة إلى تحطيمه سياسيا من خلال نشر شائعات عن تعاونه مع القوات الألمانية خلال الاحتلال وأسهم خصومه السياسيون وبخاصه من خاض ضدهم معارك شرسة في الحرب الأهلية ترويج تلك الشائعات بشكل واسع، ولكن المؤرخين ذهبوا إلى أن بعضا من الوثائق التي استعان بها خصومه لم تكن سوى منشورات فبركتها قوات الاحتلال كي تذكي الصراع بين أجنحة المقاومة اليونانية. ولكنه تمكن من توحد حزبه والحزب الليبرالي وتقلد حقائب وزارية متنوعة غير أنه سرعان ما هجر السياسة قبيل وفاته في العام 1957. وحتى وقتنا الراهن لا يزال اليونانيون ينظرون إليه بوصفه بطلا للمقاومة في زمن حالك كاد أن تختفي فيه اليونان .

منصور مبارك

الشباب وتأسيس مجتمع المستقبل

حسين السبع

تبذل دولة الكويت مجهودات جبارة من أجل الاهتمام بالشباب والارتقاء بهم من جميع النواحي . ولهذا السبب وضع مشروع الخطة الإنمائية للسنوات 2015 / 2016 - 2019 / 2020 على رأس الأهداف تمكين الشباب ورعايتهم ، فالشباب لهم النصيب الأكبر من إجمالي عدد السكان وفق أحدث الإحصاءات، حيث بلغت نسبة الطفولة والشباب (5 - 24 سنة) 56.8% من إجمالي السكان الكويتيين عام 2013.

وهذا يعني تزايد الدور الكبير الذي تقوم به هذه الفئة في جميع المجالات. وتجلى الاهتمام بفئة الشباب بما يمثلونه من فئة عمرية واسعة بالمجتمع إلى استحداث حقيبة وزارية خاصة بالشباب، هي الأولى في تاريخ تشكيل الحكومات الكويتية، تأكيدا من حكومة الكويت على أهمية دور الشباب في المرحلة الحالية والمستقبلية.

وتذكر الخطة بعض الجوانب الخاصة بهذه القضية . ولكن المشكلات التي تعترض التوجهات المستقبلية كثيرة جدا وتتطلب تعاون جهات متعددة وصياغة برنامج مستقبلي . وأولى هذه المشكلات تشير إلى تركز قوة العمل الوطنية في القطاع الحكومي، ويعزز هذا التوجه التقرير الإحصائي الأخير الذي يذكر أن حجم العمالة في القطاع الحكومي سنة 2014 يبلغ 258،808 بنسبة 73% يتركز أغلبهم في وزارتي التربية والصحة. وعلى الجانب الآخر، تبلغ حجم العمالة الوطنية في القطاع الخاص سنة 2014 تبلغ 61652 نسبة الذكور منهم 47 % ونسبة الأناث 52 % ونصف هؤلاء من الشباب .

ويجب قبل كل شيء معالجة هذا التفاوت الكبير بين الإقبال على القطاع الحكومي والخاص، فعلى أرض الواقع هناك عزوف كبير للشباب عن العمل في القطاع الخاص، وتكدسهم في القطاع الحكومي المصاب أصلا بالتضخم الوظيفي، وهذا الخلل أسبابه تتركز في ضيق الفرص الوظيفية المتاحة من القطاع الخاص، مما قد ينعكس مستقبلاً على زيادة شريحة الشباب المتعطلين عن العمل.

والحلول المطروحة لاحتواء الشباب في سوق العمل التنموي تتطلب الوعي بمتغيرات العصر من جانب وميول الشباب واهتماماتهم من جانب آخر . وفي الكويت التي وصلت إلى درجة الصفر في الأمية على عكس بعض المجتمعات العربية الأخرى، تحتل المعرفة ووسائلها حيزا كبيرا من اهتمامات الشباب، وأيضا تعامل الشباب مع أدوات الثورة المعلوماتية، على سبيل المثال، تذكر الإحصاءات العالمية الحديثة أن الشباب الكويتي من الجنسين هو الأكثر تفاعلا مع وسائل التواصل الاجتماعي على مستوى المنطقة العربية.

وهذا التعامل النشط مع منتجات الثورة المعلوماتية يشير إلى أهمية بناء مجتمع المعرفة وإلى أن الشباب يجب أن يكونوا المركز في هذا المشروع الكبير . فالشباب هم الوسيلة والفئة الرئيسية التي يقع عليها عبء بناء مجتمع المعلوماتية. فهم القوة الدافعة التي تقدم الزخم الضروري الذي يدفع في هذا الاتجاه مما يتطلب توفير كل

الإمكانيات والمستلزمات لهم، من حيث التعليم والتدريب ورعاية الموهوبين والفائقين دراسيا. ولو نظرنا إلى تجارب الدول الصاعدة تنمويا وبخاصة تجارب دول التنين الأسيوي فسنخرج بخلاصة أن مجتمع المعلوماتية لا يبني نفسه بنفسه . فقد توجد ممارسة وانتشار في بلد ما لأدوات المعلوماتية وتقنياتها وقد تكون واسعة الاستخدام بين فئات المجتمع وخصوصا الشباب إلا أن هذا الانتشار ليس معناه أن هذا البلد هو بلد قاعدته المعلوماتية راسخة.

لكي يكون البلد قائما على المعلوماتية وتصبح المعلوماتية صناعة ناجحة فيه، فإن ذلك يتطلب أولا أن تكون فئة الشباب متسلحة بأدوات العلم والمعلوماتية ،وأن تضع الدولة في اعتبارها هذا الهدف في الخطة التنموية، وهذا ما تم تطبيقه في تجارب رائدة مثل اليابان وسنغافوره مثلا، ويتم صياغته تفصيليا كبرنامج واضح المعالم يتكون من مراحل و إجراءات يتم تطبيقها في مجالات التعليم والبحث العلمي والثقافة والاتصال والاقتصاد والتكنولوجيا والإعلام بطريقة شاملة ومتناسقة.

ويجب على جميع فئات المجتمع بما في ذلك قوى المجتمع المدني إدراك أن المعلوماتية أصبحت تمثل أحد أهم مرتكزات التنمية الإنسانية الشاملة والمستدامة. ولذلك ينبغي على الجميع من مختلف المستويات والجهات المشاركة في هذا المشروع الكبير والحيوي الذي يتركز في نقل المعلوماتية وتوطينها وتوظيفها وإنتاجها، وكذلك صناعة الحلول المناسبة للعقبات التي قد تقف دون إنجاز هذا المشروع الرائد نحو بناء مجتمع المعلوماتية، سواء في التعليم أو البحث العلمي أو القطاعات الأخرى.

لقد بينت دروس الدول التي قطعت شوطا كبيرا في بناء بيئة مناسبة للمعلوماتية، أن الكويت تستطيع من خلال الإدارة الفاعلة للمعلوماتية تأسيس نوعية مختلفة من فئة الشباب على وجه الخصوص والمواطنين بصفة عامة، لديهم القدرة على التعامل بشكل مناسب مع كافة علوم العصر المتقدمة التي أساسها الإبداع والابتكار والتفكير النقدي والبحث العلمي.

إن سر التقدم والثراء في الكويت لن يكون مصدره الأحادي النفط أو أية سلعة وحيدة ثمينة بل هو في القيمة المضافة التي يقدمها العاملون في صناعة المعلوماتية وجهودهم من خلال التجديد والإبداع وتطبيق المعرفة في عدة مجالات وتطويعها من أجل رخاء المجتمع بأكمله.

لقد بينت التجارب السابقة قدرة صانع القرار في الكويت على أخذ زمام المبادرة في أكثر من ميدان، ولذلك فهناك إمكانية كبيرة في توفير الإمكانات والآليات التي تمكن الدولة وفئة الشباب من تحقيق هدف بناء مجتمع المعلوماتية، والمشاركة في الارتقاء بالكويت إلى مصاف الدول التي تحقق معدلات نمو عالية . ومن أجل تحقيق هذا المطلب، من الأهمية بمكان كشف سبل التعامل مع ضرورة إدماج شباب الكويت في نقل المعلوماتية وتوطينها، وتبين الفرص والتحديات التي تقف عائقا أمام ذلك، فهناك العديد من المشاريع التي لم تجد طريقها إلى التنفيذ بسبب غياب عدم الرصد الدقيق للعقبات والتحديات التي اعترضتها.

إن ما يمكن أن تقدمه العلوم الاجتماعية في سبيل تحقيق ذلك كبير للغاية، فالبحوث الميدانية، على سبيل المثال، تسهم في استقصاء الأوضاع الراهنة للشباب في مجتمعنا الكويتي بشكل دقيق من حيث امتلاكهم للقدرات المعرفية والثقافية والاقتصادية والمجتمعية التي تمكنهم من المساهمة في بناء مجتمع المعلوماتية. و كذلك تساعد هذه البحوث ومعطيات العلوم الأخرى في رسم صورة دقيقة لواقع البيئات التمكينية المتاحة وقدرتها على توسيع فرص الشباب وبناء قدراتهم لتحقيق الهدف.

تسعى كل دولة في الوقت الحالي إلى تحقيق هدف كبير نحو التقدم متمثلا في نقل المعلوماتية. وهذا الهدف خطوة ضرورية ولازمة لتملك أساسات ومبادىء مجتمع المعرفة وأدواته، وبخاصة تكنولوجيا الإعلام والتواصل الحديثة والمهارات الحياتية والفنية الضرورية. أما توطين المعلوماتية – وهو الهدف النهائي – فهو يتجسد في الانتقال من استهلاك المعلوماتية وإعادة تدويرها بالشكل الذي نقلت به في مجالاتها الأصلية إلى تملكها والاشتغال بها وعن طريقها داخل مجتمعنا الكويتي بكل خصوصيته، وفي إطار منظومة اجتماعية وثقافية تسعى إلى تحقيق التقدم وتوفير شروط تنمية أصيلة قادرة على المساهمة الفاعلة في بناء الحضارة الإنسانية. ويستند هذا الهدف النهائي على الشباب الكويت كرافعة أساسية وهدف وغاية له.

وينبغي أولا التحرك بصورة جدية للاستفادة من طاقات الشباب و الاستثمار الفعال لأوقات فراغ الشباب وبناء مجمعات صغيرة للمعلوماتية والمعرفة في المؤسسات والمرافق الشبابية في كل المحافظات. وبالإمكان البدء مما هو متوفر من بنى تحتية، وتطوير دور مراكز الشباب وتحديثها وانفتاحها على المجتمع، والاعتناء بالأناث ومساواتهن من حيث الفرص والإمكانات بالذكور، و كذلك الاستفادة من دور القطاع الخاص في الدفع بهذا المشروع وتوفير قوة الدفع الضرورية له. إن تنمية دور القطاع الخاص ضرورية للغاية في تمكين الشباب فقد أثبتت التجارب الأخيرة في الكويت أن القطاع الخاص يوفر حاضنة مثالية لتسويق المواهب الشبابية وترويج منتجاتها وخدماتها وتوظيف طاقاتها الإبداعية.

ليوم الصعب قد دخَرَتْ أميراً

شعر : مختار عيسى

... ولي أنْ أعلنَ الآن الجوابا
إلى من قد يسائلني المآبا
ولستُ بغائب عنها وإنّي
أمدُّ الروح أقتصُّ الغيابا
إذا أنسبْتُ أشعاري إليها
فإن قصائدي تغزو السحابا
وَثوقٌ أنّ شوقي لايُجارى
وأنّ النيل يرسلهُ انسكابا
كُويتُ بعشقها أنّي ارتحلتُ
وإذ فتّحتُ للأشواق بابا
ويَومَ الشعرُ أدناني إليها
وجدتُ النثر يسبقنا عتابا
إليها القلب هفّاءٌ مشوقٌ
ذهابا مرّ خفقي أو إيابا
ورغم النأيِّ ما فارقتُ يوما
ولا أحسستُ بالبعد اغترابا
وليس المدحُ تصنيعي وفني
هي المدُاحة الشعرَ انتسابا
إذا ما الغدرُ أشعلها حريقا
وأذكى فتنة ، رام احترابا
وشق الصف تغريرا وحقدا
بقول الزور، أو فكر تغابى
إذا ما البغيُ أرجفها رُهوبا
وكبّر في مساجدها خرابا
ليوم الصعب قد دخَرَتْ أميرا
يزيحُ الكرب، يشتقُّ الصعابا
يعيدُ الصفَّ ، ملحوما مُؤمّا
بمن عرفَ الحقائق والصوابا
يكفكف دمعه ، إياك تنسى
رأيتُ الكلَّ في كنفي صحابا
أنا ربُّ البلاد وقد حبَتني
بفضل الله أنعمها العذابا
فما أرضى لغير العزِّ تمضي
كويتُ الكل .. تُقرؤنا الكتابا
فيا من رامَ في بلدي افتراقا
وأنعق في خرائبها الغرابا
وساق الفتنة العمياء ليلا
وظنَّ الصبح يذروها اخترابا
ستبقى درة البلدان عندي
ومن ذا قاس بالتبر الترابا ؟!
وما غير السلام بها سنرجو
شيوخا ، نسوة ، طفلا ، شبابا
سنمنحها الفؤادَ وما حواه
ونسقي روضها عشقا مُذابا
وماخذل الإلهُ رفاق صدقٍ ...
وما أدناهُ من قلبٍ أنابا !

إحدى الصور المشاركة
في المسابقة الثقافية

الديوان الأميري - ضاحية مبارك العبدالله - قطعة 7 - شارع 5 - ص.ب: 28717 الصفاة رمز بريدي 13158 الكويت - تلفون: 1888101 - فاكس: 25392713